التيمورية واستولى عَلَى خزائن الاموال في دهلي واخذها الى بلاده قبل استيلاء الانكليز عَلَى تلك المملكة بما ينيف عن قرن و يعضون الانامل من الغيظ و يحرقون الارم من الاسف على مـا اخذه نادر من اموال دهلي وحرمانهم من تلك الاموال ويحملون هذا الوزر عَلَى عاتق كل ايراني لحسبوا ذلك منا تعالياً ولو قصصنا عليهم مـا يعامل به الانكليز رعاياهم في الهند عموماً والمسلمين خصوصاً وانه يكفي لنفي عالم من علماء المسلمين الى جزائر اندومان ان يعترف بانه معتقد ببعض ايات من القرآن لانكروا علينا ما نقول لبعدهم عن تلك الاقطار وعدم وقوفهم عَلَى احوالها ولسنا الان بصدد اقناع المصريين بما نعلم من احوال الانكليز ولا نريد اقامة الدليل عَلَى ما نعرفه من احكام سلطتهم فـلا نذكر ولا نبين ولا نحكي ولا نقص ولكن نعرض عليهم نموذجاً من المعاملة لعله يكون للمتبصرين مرآة تحكي ما غيب عنهم من لوازم السلطة الانكليزية

عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محرري الجرائد الفرنساوية فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها ولا كاشفين عن حقيقة سيرها فلما وقف عَلَى الخبر محرروا الجرائد الانكليزية المهمة اخذتهم الحدة واحتدمت فيهم نار الحمية وانذروا حكومتهم بما توثر هذه الجريدة في سياسة الانكليز ونفوذها في البلاد المشرقيه ولجوا في اغرائها بها والحوا عليها ان تعد كل وسيلة لمنع الجريدة عن الدخول في البلاد الهنديه والبلاد المصرية بـل تطرفوا فنصحوها ان تلزم الدولة العثمانية

بالحجر عليها . كل هذا كان منهم قبل صدور اول عدد من جريدتنا وقبل ان يقف ولا واحد منهم عَلَى مذهبها السياسي مع ان هذه الجريدة لم تنشأ لاثارة الخواطر ولا لايقاد الفتن وانما انشئت للمدافعة عن حقوق الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً وتنبيه افكار بعض الغافلين منهم لما فيه خير لهم ولقد صدرت سالكة جادة الاعتدال ذاهبة مذهب الاستقامة والعدل كما يظهر لكل من اطلع عليها . فليعتبر المعتبرون بهذا الاجحاف والاعتداء والقصاص قبل الجناية ومن كان سمندري الطبع فليهنا له العيش في ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ولكن فلتعلم الحكومة الانكليزية اننا لا يعجزنا بث افكارنا في البلاد المشرقية سواء كان بهذه الجريدة او بوسيلة اخرى اذا دعا الحال فان انصار الحق كثيرون

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثباتاً عَلَى يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم اوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم

السعادتين و يشفقون على احدهم ان يمرق من دينه اشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم حتى لو سمع اي شخص منهم في اي بقعة من بقاع الارض عالماً كان او جاهلاً ان واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في اي قطر ومن اي جنس صبا عن دينه رايت من يصل اليه هـذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج بالحوقلة والاسترجاع ويعد النازلة من اعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقراها قارئهم بعد مئين من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويستفزه الغضب و يدفعه لحكاية ما رأى كانه يحدث عن غريب او يحكي عن عجيب

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على مايدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع اعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص

من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه . وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها اهل الحق ولا يغير منها تاويلات اهل الاهواء واعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من المهامات دينه ومع كل هذا نرى اهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الاخر ولا يالمون لما يالم لبعضهم فاهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في افغانستان عَلَى مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولم تكون لهم نعرة عَلَى اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون وان جنود الانكليز تضرب في الاراضي المصرية ذهاباً وايابا تقتل وتفتك ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين عَلَى مجاري دمائهم بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم الذين احمرت احداقهم من مشاهدها بين ايديهم وتحت ارجلهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

تمسك المسلمون بتلك العقائد واحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الحيرة ويسوق الى بيان السبب نخذ مجملاً منه : ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة عَلَى الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم لكن

الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الاثار التي تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده إلا ان ماينعكس الى مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يوثر فيه اشد التأثير فكل شهود يحدث فكراً وكل فكر يكون له اثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى الفكر ولا ينقطع والانفعال بين الاعمال والافكار ما دامت الارواح في الاجساد وكل قبيل هو للاخر عماد

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا اثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات وتلجي اليه الحاجات من تعاون الانسباء والعصبة عَلَى نيل المنافع وتضافرهم على دفع المضار وبعد كرور الايام عَلَى المضافرة والمناصرة تاخذ النسبة من القلب ماخذاً يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون انبساط النفس لعون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم او نكبة جارياً مجرى الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع والعطش والسري والشبع بل اشتبه امره عَلَى بعض الناظرين فعده طبيعياً . فلو اهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة ويوكدها او وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه او الجأته ضرورة الى ذلك ذهب اثر تلك الرابطة النسبيه ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعَلَى مثال

ما ذكرنا في رابطة النسب وهي اقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها اثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . ان لم يصحب العقد الفكري ملجي الضرورة او قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود اثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلاً من اشكالها فلن يكون منشاء لاثاره وانما يعد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في تباطوهم عن نصرة اخوانهم وهم اثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الاغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الاعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلاً عمن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من اهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم إلا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة او قرابة بين احدهم وآخر اما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لا انساب بينهم وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كانه كون براسه

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . اليس بعجيب ان لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين اليس بغريب ان لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق . هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح ان يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد إلا طفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع اقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد اجنبي عن ملته لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما اضعف الالتئام بين اجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون ان يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في اصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد

لم يسبق له مثيل في دين من الاديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى اقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب واموية في اطراف الاندلس · تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدانبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيز خان ووالاده وتيمور لنك واحفاده وايقاعهم بالمسلمين قتلاً واذلالا حتى اذهلوهم عن انفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الى مايليه فتبدد الجمع الى احاد وافترق الناس فرقاً كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك او مذهب فضعفت اثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة وتبعث على اشتباك الوشيجة وصار مافي العقول منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذاكرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من اثارها إلا اسف وحسرة ياخذ ان بالقلوب عند ماتنزل المصائب ببعض المسلمين بعد ان ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفائت كما يكون على الاموات من الاقارب لايدعو الى حركة لتدارك النازلة ولا دفع الغائلة ·

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوارثة التي شرفوا بها

عَلَى لسان الشارع ان ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز احد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الاخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في اقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤن وحدتهم ويأخذون بايدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا اطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الأقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنون بذلك من شد ازر الدين وحفظه من قوارع العيون والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط انما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو ابدع مبدع امكن بالتواصل بين الطبقات تداركه بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف عَلَى المستبصرين مايتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها عَلَى دفع مايغشاها من النوازل . الا انا ناسف غاية الاسف اذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي اقرب الوسائل وان التفتت

اليها في هذه الايام طائفة من ارباب الغيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من اهل الحمية والحق ان يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم فقد دارستهم التجارب ببيان لامزيد عليه وما هو بالعسير عليهم ان يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا احوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة اوما يخشى ان يمسها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد ادوا فريضة وطلبوا سعادة والرمق باق والامال مقبلة والى الله المصير .

عجز ومراوغة

طنطنت الجرائد الانكليزية ورجال السياسة في بريطانيا بنجاح الجنرال كوردون في مأموريته بعد ما وصل خرطوم بايام ثم انعكس الامر عليها واظهرت الجزع مما حل به من الخيبة في اعماله والاشفاق والارتجاف مما يتوقع نزوله من الخطر واجمعت على ان ما يصيب كوردون من قتل او اسر يكون وصمة في شرف انكلترا الى الابد وعارا عليها لا يمحى ولا مداركة لهذا الخطب العظيم الا بارسال العساكر الانكليزية الى خرطوم الا انه في هذه الايام بعد العجز عن ارسال العساكر لم يعدم وزرا انكلترا او رجال حكومتها عذراً للتملص من هذا العار الذي يلحق بهم فقال الموسيو غلادستون وناظر الجهادية الانكليزية ان الجنرال كوردون لم يؤمر بالاقامة في خرطوم الى اجل غير محدود حتى يحتاج الى نجدة عسكرية تخلصه مما عساه يقع فيه بل كان مما امر به ان يخرج من المدينة عند

مايرى لزوماً لذلك على ان الجنرال لم يطلب اعانة عسكرية فالوزارة الانكليزية لاتتحمل تبعة ما نزل بكوردون الا بعد ان تقف على افكاره ومطامح انظاره ولا وقوف لها الى الآن على شيء منها والاوامر التي اصدرتها اليه في الايام الاخيرة لم يرد لها خبر عن وصولها .

ومن كلام ناظر الجهادية ان الحكومة الانكليزية تدبرت من ايام في ارسال فرقة عسكرية الى بربر وبعد امعان النظر في لزوم ذلك رأت عدم الارسال اولى وانهى كلامه بقوله ان حكومته لم تأخذ على نفسها اعادة السلطة المصرية في السودان ولا تقرير اي حكومة فيها وانها تلقى اليوم عن نفسها كل تبعة تتوجه اليها في شئون السودان واما سواكن فسيقام فيها حامية قليلة العدد الى ان يبرم اتفاق (بينهم وبين مصر) وكلام هؤلاء الوزراء قد لايخلو من غرابة فان منشورات كوردون التي نشرها بعد دخوله خرطوم على قبائل العربان ورسالته الى المهدي لم تنكرها الحكومة الانكليزية بل دافعت عنها ودفعت الاعتراضات التي وجهت عليها وكان فيها انه وال على السودان (بل سلطان) من قبل دولته والحكومة المصرية وانه بماله من حق الولاية يمنح محمد احمد لقب امير كوردفان ويبيح بيع الرقيق ويدعو العرب الى الطاعة فتلك المنشورات صريحة في ان بعثته كانت لاقرار حكومة في السودان والمدافعة عن بعض الولايات فيه وانه فيما يعمل مؤتمر لحكومته وإلا كان كاذباً والحكومة دافعت عن كذبه رجا ان ينجح فيه فلما اخفق لم تجد بداً من البراءة منه .

وقالت جريدة التان الفرنساوية ان ناظر الجهادية الانكليزية يدعي في مجلس العموم ان الجنرال كوردون لم يطلب نجدة عسكرية الى خرطوم مع ان الاخبار التي وردت الى جريدة التمس من مصدر يكاد يكون رسمياً ونشرناها من قبل تكذب ما قاله الناظر وتؤكد ان والي خرطوم (الجنرال) كان منتظراً ورود العساكر الانكليزية اليه وقتاً بعد وقت وتحققت حاجته لذلك عند الكافة من اهالي لوندرا حتى كان تدبر الحكومة في ارسال فرقة الى بربر مبنياً على هذا

لتفتح طريق مصر العليا لكن اقعدها تصور ما تكابده الجنود من المشاق والمتاعب بل ما يحل بهـا من التلف . وقد عرضت جريدة البال مال كازيت بالطعن على حكومة انكلترا ولوحت بلومها على ما اظهرته من العجز والمراوغة حيث قالت فليعلم الجنرال كوردون ان الحكومة الانكليزية بعد اضرابها عن ارسال العساكر الى بربر يستحيل عليها ان ترسل عساكر الى خرطوم وقالت ان المسيو بوير فنصل الانكليز في خرطوم كان ينتظر المدد العسكري يوماً بعد يوم وفي ظنه ان حكومته تسعفه بذلك لكنه يجب عليه الآن ان يعلم انها تركته واصحابه ووكلتهم الى انفسهم فعليه ان يتدبر في امره بنفسه موقنا ان الحكومة الانكليزية تفضل اخلاء السودان وتعريض حامية المدن ومن فيها من رجالها لمدى اشياع محمد احمد تفتك بهم على اعداد اي وسيلة لانقاذهم واتبعت قولها هذا بتهكم على الوزارة فقالت من زعم ان ارسال كوردون الى السودان لم يات بفائدة فقد اخطا خطأ عظيما فان اعظم فائدة ترتبت عليه بقا الوزارة الانكليزية وصيانتها من السقوط فان حياتها كانت موقوفة على سفره من لوندرا ولولاه ماخلصت من الخطر الذي كان محدقا بها ولما بقيت في قيد الحياة الى الان . وانعم بهـا من فائدة جليلة لمصر وانكلترا فكفى الامتين سعادة ان تهدر شقاشق الوزراء فوق المنابر

هكذا تعشم المستر كلادستون وزملاؤه في الكلام على المسئلة السودانية وسلكوا طريق المواربة وتبرأوا من تبعتها بعد ما ساقوا اليها الجيوش والقواد بقصد اخماد الثورة وتقرير الراحة وهو قرار سياسي تبع الانهزام العسكري يكشف لنا عن قوة محمد احمد ومنعته وياس الدولة البريطانية عن ملاقاة امره وان في نيتها الاقتصار على التحصن فيما دون حدود مصر الطبيعة بل على الحلول في مصر السفلى حتى تحفظ القنال وتتصرف في اراضيها الخصبة وتقف على ابواب التجارة اترقب حركات المارة وتشيع الذاهبين والآيبين مابين الشرق والغرب وتقنع بالتحكم في بعض الضعفا من المصريين وانا لانعلم ماذا تكون العاقبة اذا اصبح السودان باسره في حوزة محمد احمد واعتصم في قاعدة تلك الاقطار الشاسعة ولا عاصم له

الا بالاغتيال في سيره وبث دعوته بين جميع القبائل العربية بما يستطيع من الحيل او القوة . افلا ينتهي بعد هذا الى سوق جيوشه الكثيفة الى حدود مصر العليا ربما . بل يغلب على الظن انه يفعل ذلك فان لم يفعل فهي شعلة الثورة تسري بطبعها وتضطرة الى اقتفا اثرها .

جاءت الاخبار من ايام بان الثائرين قطعوا خطوط التلغراف بين اصوان وكورسكو واين كورسكو من اصوان . هي على مقربة منها المسافة بينهما كما بين قنا واصوان . وفي اخبار اخرى ان للهيجان والتحرش للخروج اثراً ظاهراً في اطراف مصر العليا فاذا قدر الله وصارت حدود مصر العليا معاراً للحركات الحربية وهو مما لا تبعده الحوادث فهل يبقى المصريون وقبائل العربان في الفيوم والبحيرة والشرقية وجميع انحاء القطر المصري على سكونهم بعد ماراوا من ضعف الانكليز وعجزهم ماراوا وبعد مايشهدون سيلاً قوياً ماؤه من مائهم ينصب اليهم وبعد ماحرجت صدورهم وضاقوا زرعا من تصرف الانكليز في حكومتهم يغلب على الظن ان مالهم من سرعة الاعتقاد بالظافر خصوصاً ان كان قائما بدعوة دينية وما ضاقت به صدورهم من الاستبداد الانكليزي وما ذاقوه من الام الفقر والفاقة والذل والهوان من نحو سنتين وما يتوقعونه من رزايا دينهم ودنياهم في المستقبل اذا رسخت قدم الانكليز في مصر كل هذا يبعثهم على تقبل دعوة الداعي بقبول حسن وانحيازهم اليه .

اذا جاء هذا الوقت وهو ليس ببعيد فربما تجد انكلترا في مصر افغانا اخرى وتخشى من ظهور عجزها فتواري خلف بعض من الحيل والتعللات وتستدعي من المسلمين من يكون قوي شكيمة شديد البأس لتقرير السلم وتمكين الراحة وتعود الى جزائرها راضية من السلامة بالاياب ولعل ذلك غير بعيد على العقل والى الله المآب .

سبات من له الحق
وحراك من لا حق له

هذه دول اوربا جميعاً ودولة فرانسا خصوصاً شاخصة الابصار الى ما اصاب مصالحها واضاع حقوقها في القطر المصري واضر بتجارتها فيه ولا تبدي حركه ولا يسمع لها صوت إلا همس خفي في الجرائد والدولة العثمانية وهي شديدة الازر قوية العضد بما لها من المكانة في قلوب المندبيين وكل انكليزي قلبه بين اصابع الدولة العثمانية واحشاه مستقرة عَلَى اناملها وفي نظرها ان سلطتها اشرفت على الزوال في الاقطار المصرية وسيادتها عليها كادت تكون اسما ومع ذلك لا تأتي عملا ولا تخطو خطوة سوى انها اكتفت باقامة الحجج ورفع الصوت بالاستغاثة لدى الدول حتى ابحها الصياح وليس من يسمع ولا من يجيب · وذوو الحقوق في الولاية عَلَى مصر والاخذ بزمام الحكم فيها عَلَى اختلاف مشاربهم قد شدة اياديهم بحبال من الآمال وسلاسل من المخاوف لا يجدون لهم قرارا عَلَى فكر ولا ثباتا على رأي وانما هم بين اعصار من الاوهام وتيارات من هواجس الخيال يحملقون الى مواقع الحوادث حائرين لا يطرف لهم طرف ولا يغمض لهم جفن · وعامة الاهالي في الديار المصرية بين فقر كاد يقضي الى قحط واختلال في النظام وضعف

في السلطة وخبط في الاحكام كادت تودي الى يأس من الاصلاح وقد اخذهم الدوار من التلفت الى جوانبهم طورا ينظرون الى حكامهم نظر الامل في همهم وحسن تدبيرهم واخر الى ماوعدتهم به الحكومة الانكليزية من الجلاء عن اوطانهم وتركهم ومايدبرون لانفسهم والقرعة تضرب عند الامة البريطانية عَلَى ديارهم بدون ان يجعل لهم فيها سهم كانما هم عنها اغراب لايوبه بهم ولا يبالي بشأنهم .

نزاع بين رجال السياسة الانكليزية بعضهم يدفع الحكومة للاستيلاء على مصر واعلان السيادة عليها واستلام ازمة احكامها واخرون يقولون هذا مما يخالف احكام الزمم ولا تسوغه شريعة الوفاء وانما علينا ان نحل بها عساكرنا زمنا يكفي لقضاء مانريده فيها ثم نخليها اذا لم يوجد موجب يحتم البقاء . عبارات مختلفة ومعان متشابهة يتنازعون وهم متوافقون ويتخالفون وهم متحدون يذهبون في انتحال الاسباب لما يبتغون مذاهب مختلفة فبعض الجرائد كجريدة التمس وما عَلَى مشربها تعتل بالجنرال كوردون وتهون ماحل به من الفشل وتتقدم الى الحكومة الانكليزية بطلب انقاذه من الخطر ولا وسيلة لخلاصه الا اعلان الحكومة بالسيادة عَلَى البلاد المصرية فلهذا الاعلان من القوة المعنوية التي تدافع عن الجنرال ماليس لجيش عرمرم اما ارسال الجيوش فهو محال لوعرة السبل وكثرة النفقات وشدة الحرارة ولئن همت به الحكومة فانما يكون من اعمال الياس والقنوط . فهذه الجرائد جعلت هذه

المصالح الدولية وحقوق الدولة العثمانية وحقوق ستة ملايين من سكان القطر المصري فداء لراس الجنرال كوردون وفي زعمها ان مـا تراه ليس رأياً يبديه ارباب الجرائد بل هو ما تراه الامة البريطانية باسرها وربما لا يكون بعيداً · وبعض الجرائد وتشاركهم جريدة التمس تتذرع فيما تطالب بما حصل لارباب الديون المصرية من القلق عَلَى ديونهم وليس لهم ضمانة ترفع قلقهم وتسكن اضطرابهم إلا اعلان السيادة عَلَى القطر المصري وقوم اخرون منهم يجعلون حجتهم مصائب الاهالي المصريين ورزاياهم وما حل ببلادهم من الاختلال ولا ينقذهم من هذا الشقاء إلا السيادة الانكليزية جميعهم عَلَى وفاق عَلَى أن هذه السيادة هي الجوهر الثمين والسر المكنون والاكسير المضنون به عَلَى غير اهله متى ابرزوه لم يبق مريض إلا عوفي ولا ضعيف إلا قوي ولا فاسد الا صلح كان في هذا الاسم مافي الرقى والطلاسم يغني عن الجيوش والاموال والعدة والرجال

ولا نظن ان يكون في هذا الاسم مايدعيه الانكليز من القوة ولا ان تكون في طيه هذه الاسرار العجيبة · ولو اننا فرضنا تنازل ارباب الحقوق عن حقوقهم من الدول الاوربية والدولة العثمانية وارباب الشان الولاية وسوغوا لحكومة انكلترا ان تنقش احرف السيادة في اوراقهـا الرسمية او في هواء الديار المصرية فليس من السهل عليها ان تزيد الحامية الى حد يحفظ ملكاً عظيماً يتاخم بلاد اوربا وقد ظهرت اثار قوتها مدة الحلول وما عاد منها عَلَى البلاد عَلَى ان الاهالي كانوا في سكون تام لركونهم الى

ما تعدهم به حكومة انكلترا من الجلا عن اوطانهم فاذا اعلنت السيادة انفصمت علائق الامال وانحرفت القلوب ومالت الى الدعوة القائمة على القرب منها وانقلب الكافة الى الذود عن حقوقهم الوطنية او الملية ولا يرهبون القوة الانكليزية في داخل البلاد بعد ما علموا شانها ويكون هذا حجة جديدة لمحمد احمد في تاييد دعواه لدى المصريين ولا يرعبه اسم السيادة بعد مـا لم ترهبه جيوش الجنرال هكس وكراهام وفنكه بالاولى والجائه الثانية الى اخلا سواحل البحر الاحمر فاي شان يكون لهذا الاسم الشريف نعم يكون بداية مشكل جديد في مصر والله اعلم بعاقبته

انكلترا والحبش

وردت الاخبار بان الاميرال هفيت وصل الى مصوع حاملا هدايا ثمينة الى ملك الحبشة وكنا في العدد السابق بينـا ماذا يريد الاميرال من مواصلة الملك يوحنا وان الدولة الانكليزية بعد ما فشلت عساكرها في سواحل البحر الاحمر وعجزت عن تجهيز جنود جديدة تسوقها الى اواسط السودان التجأت للاستنجاد بملك الحبشة واستمداد مساعدته عَلَى مسلمي السودان وكان حسن ظننا بدولة متمدنة كدولة بريطانيا يمنعنا من التصديق بعزمها عَلَى اثارة حرب خشنة لكن من الاسف ان الافادات التي وردت في هـذا الاسبوع توكد ان انكلترا عازمة على النكاية بالمسلمين في السودان من حيث هم مسلمون لا لاطفاء ثورة ولا

الترويج مدنية وفي الظن ان هذا هو الذي بسط يدها بالهدايا الثمينة تتحف بها ملك الحبش والا فخلائقها من حيث هي دولة تجارية لا تسمح لها بهذا السخاء وتنهنها عن البذل الا ان ينقد لها الربح اضعافاً مضاعفة . اي ربح لها اعظم من تودها الى دولة خشنة ترمي بها طائفة من المسلمين بغية الفتك والنكاية حتى تخيف بذلك بعض من تخشى بأسهم من ابناء ملتهم على انا لانزال في ريب من نجاح مسعاها ولو انها نجحت في اقناع ملك الحبشة بالتهور في حرب مع السودانيين فما عساها تسمي هذه الحرب لا نرتاب في انها ليست لكسر شوكة التوحش ووضع قواعد المدنية فان احد المتحاربين لا يمتاز عن الآخر في اخلاقه وعوائده وافكاره بل ربما كان السودانيون بما استفادوه من الحكومة المصرية مدة سنين اقرب الى المدنية من الحبشيين . ولا يمكن ان تكون حرباً الافتتاح وتوسيع الملك فان الحبشة لا مطمع لها في توسيع ممالكها الى الجهات الغربية من السودان ولم يعهد لها ذلك في التاريخ وغاية ما كانت تبتغيه ان تكون حدودها الطبيعية محفوظة من تعدي جيرانها عليها فلا اسم لهذه الحرب الا الحرب الدينية تذكر الملل بما كاد يمحي اثره من المحاربات الصليبية وتوقد في الافئدة نار التعصب الديني فلو فتحت دولة انكلترا باب هذه الفتنة افلا تحترق قلوب المصريين بهذه النار وهل ترجو هذه الدولة من بعد ذلك ان يستقر لها قدم بينهم وهل تأمن ان يثور سكان جزيرة العرب تحت هذا العلم الذي يظل ملايين كثيرة تعلم انكلترا عددها وتحس بحاجتها الى مسالمتها نظن ان حكومة بريطانيا تسعى باختباطها هذا الى ما لا محيد لها عنه وتجتهد في تقريب البعيد وما كان اغناها عن هذا كله

رأي المستر بلونت في المسئلة المصرية

ان مستر بلونت الذي اشتهر بمحبة المسلمين والمدافعة عن المصريين لما رأى ما وصلت اليه المسئلة المصرية من الارتباك واشتداد الخطب فيها على حكومة

انكلترا وصعوبة تدارك الخلل الذي عرض لها تدبر في حل للمسئلة ونشره في التمس فاحببنا نشره في جريدتنا مجملا وهو

عَلَى الحكومة الانكليزية ان تتفق مع سائر الدول عَلَى جعل البلاد المصرية مستقلة في ادارتها (يريد بذلك ان يكون حكامها منها لا من امة اجنبية) ويكون الكافل لهذا الاستقلال جميع الدول بدون امتياز قوانين التصفية واختصاصات الاجانب يجب تعديلها . كل مسئلة يقع فيها اختلاف فلا يكون انهاوها الا باتفاق الدول الاوربية تحكم فيها بما تشاء لاينبغي ان يكون في الجندية ضباط من الاجانب . وقنال السويس يلزم ان يعتبر طريقاً عاماً يشترك فيه جميع الامم ويكون تحت رعاية الدول جميعاً . يجب ان تكون ادارة البلاد بيد حكومة يقيمها الاهالي بانتخابهم

= اسطورة =

قالوا ان زنجياً اسود هائل المنظر غليظ الشفتين مقلوب المشفرين جاحظ العينين احمر الحدقتين بشع الوجه افطس الانف منكر الصورة وكان يحمل ولداً في ليلة مظلمة يسير به في زقاق من ازقة بغداد والولد كلما نظر اليه يفزع و يبكي وينتحب و يصيح و يعول وكلما اشتد به الفزع مسح الزنجي ظهره وقال له لا تخف يا ولدي فاني معك وانيسك وحافظك من كل شر و بعد تكرير هذه الملاطفات من الزنجي للصبي قال الصبي يا سيدي انما خوفي وفزعي منك لا من وحشة الظلام

هذا شان حكومة انكلترا مع المصريين كلما اشتدت الخطوب وعظمت المصائب وزاد الخلل في البلاد المصرية مسحت حكومة بريطانيا عَلَى ظهر توفيق باشا ووزرائه بيدها الناعمة (وانما هي نعومة الثعبان) واقبلت عَلَى الاهالي تمنيهم

بوعودها المرونقة وتقول لهم لا تحزنوا فاني معكم وجميع المصريين من توفيق باشا الى وزرائه الى عامة الاهالي يجارون و ينادون انما خوفنا وجزعنا منك وراحتنا واطمئناننا بتنحيك عنا وتركنا وشأننا

= اضحوكة =

قال مستشار خارجية انكلترا لبعض سائليه في مجلس البرلمان ان الجنرال كوردون عند ما اجاب محمد احمد عَلَى بلاغه الاخير لم يخاطبه بلقب سلطان كوردفان بل عنون الجواب بلفظ شيخ و بنا عَلَى هذا فقد صار لقب سلطان كوردفان الذي منحه له الجنرال كوردون لاغياء يعني ان محمد احمد خلع من سلطنة كوردفان عند ما طمح نظره الى خرطوم وطلب من الجنرال ان يدخل في دين الاسلام لكن محمد احمد لم يتمتع بتلك السلطنة اللفظية لانه لم يقبلها عند عرضها عليه فلا يحزن من هذا الخلع الجديد . اليس بعجيب ان يسمع من افواه رجال سياسة بريطانيا مثل هذه المهملات بعد ما قيل فيهم انهم من ادهى رجال العالم . ولعل الاضاحيك من اساليب السياسة عندهم

باريس

يوم الخميس في ٢٨ جمادي الثانية سنة ١٣٠١ و ٢٤ افريل سنة ١٨٨٤

ان للحكومة الانكليزية شأناً في المسئلة المصرية يخال للناظر فيه انها في تردد بين احجام واقدام وان مقارعة الاراء واختلاف الاهواء يزداد بين سكان بريطانيا كلما ازدادت الخطوب شدة في مصر . نعم ان ارباب الرأي في الامة الانكليزية فريقان فريق منهم يدفع حكومته الى الاعلان بسيادتها عَلَى الديار المصرية واستلام ادارتها وبعبارات اخرى الى ضمها لاملاكها و يحملها بذلك عَلَى غمط حقوق الدولة العثمانية واهالي القطر المصري والاستهانة بحقوق الدول جميعاً وهذا فريق الجمعيات والشركات المالية و يذهب بعضهم بعض الوزراء و ينصر ارائهم عدة من الجرائد اشهرها جريدة التمس واشتدادهم في صخبهم ونعيرهم نبه الافكار واقلق الخواطر في الامة الفرنساوية فانطلق لسان جرائدها بالوعيد والتهديد وصرحت الجرائد الوزارية منها وجرائد الاحزاب الجمهورية وهي ذات السلطة في البلاد الفرنساوية بان حكومة فرنسا وان كانت غضت طرفها عن اعمال انكلترا في القطر المصري من يوم حملتها عليه الى الآن ولكنها لاتهمل شيئا من مصالحها

وحقوقها وجميع الدول الاوربية تعززها وليس لانكلترا في مصر ماتمتاز به عن بقية الدول ومن الجهل ان يظن سياسي في المسئلة المصرية انها مصرية او انكليزية او فرنساوية فانما هي مسئلة اوربية وقد اقتربت الساعة التي تجهر فيها الدول بالمدافعة عن حقوقها في الاقطار المصرية ان للدول حقا في التداخل لحل هذه المشاكل بعد ماعجزت انكلترا عن القيام بما تعهدت به من اقرار الراحة في مصر فان الفوضى في هذه الايام اشد منها في زمن الحركة المعروفة بالعسكرية وفتنة السودان تلاطمت امواجها على حدود مصر والهواء الاصفر يوشك ان تكون له رجعة الى تلك البلاد السيئة الحظ وما هذا كله إلا من اثار الحلول الانكليزي في وادي النيل اما ان ارادت دولة انكلترا ان ترسم بسيادتها اوترفع اعلام حمايتها عَلَى القطر المصري فما للدول من حق التداخل يصير فرضاً لازماً وضربة لازب لامحيص عنها . الا ان كل هذه التهويلات لم تعدل بذلك الفريق الانكليزي عن مقصده ولم تتحول به عن مشربه فلا تزال جرائدهم تنعق بطلب الحماية علَى مصر وهم في عمى عن العوائق والموانع التي تصد حكومتهم عن الانصياع اليهم

اما الفريق الاخر من الامة الانكليزية ومنهم ناظر داخلية انكلترا ومستر غلادستون فيما يقال فيظهرون التعفف والنزاهة بل يصرحون في خطبهم بان حكومة بريطانيا لاتستطيع احتمال ادارة البلاد المصرية وليس في امكانها ضمها الى املاكها ولو همت بذلك

لرأت من الدول اشد الممانعة وربما رجعت بالخيبة على انها تكون قد سنت سنة سيئة في نقض العهود واخلاف الوعود وفتحت للدول هذا الباب باب الشر والعدوان · هذا ماينطقون به على منابرهم ويزعمونه نباعما في خواطرهم ولكن هولاء المتعففون لهم في كل وقت عمل لتمكين اقدامهم في مصر ولا يخالفون الفريق الاول الا في شقاشق الالسن هولاء هم الذين حولوا الادارات المصرية ودوائر حكومتها العليا الى السيرية واستلما زمام العسكرية والمالية وادارة الداخلية والمحاكم القضائية وتصرفوا في اعمالهم تصرف الملاك فاستبدوا على المتوظفين من المصريين وغلوا ايديهم عن تعاطي اشغال وظائفهم حتى آل بهم الامر الى ماصرحت به الجرائد الانكليزية من انهم اشباح ورسوم تلوح بين جدران الدواوين غدوة وعشيا · هولاء هم الذين يحاولونا بهم ومأمورهم في القطر المصري ان يلزموا اهاليه بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية انكلترا وسيادتها عليهم وان لم تنجح الحيلة · هولاء هم الذين هموا الان بتغيير نظام المالية المصرية ورغبوا الى الدول في عقد مؤتمر بلوندره لتغيير قانون التصفية ويريدون ان يجعلوا ذلك ذريعة للاتفاق مع الدول على ان تكون الديون المصرية باسرها تحت ضمانتهم لتقوم لهم الحجة في الاستيلاء على مصر بعد زمن قصير او طويل او ليمهدوا به طريقا لمن يخلفهم في الوزارات الانكليزية ينتهي بالسير فيه الى تلك الغاية بعينها وما طلبوا الماجور بارين وكليلهم

السياسي في القطر المصري الا ليحضر هذا المؤتمر

هذا مايهيئه الانكليز لانفسهم ولكن ماذا تعده الحوادث لهم · كتبوا عَلَى انفسهم تخفيف مصائب الحكومة المصرية في السودان وعقدوا لقوادهم الالوية واعدوا لهم العدد وكتبوا الكتائب فسفكت دماؤهم بعد ماضل سعيهم · ظنوا ان بعض رزاياهم في سواحل البحر الاحمر فرصة للاستيلاء على السودان الشرقية فبعد الجهد ومعاناة الكفاح من عراة العرب تمكنوا من الرجوع بالخيبة · قنعوا بالاعتصام في حصون القاهرة وما يليها فازعجهم دوي السيل المندفع عليهم من الجهة الجنوبية واغارة ثائرة السودان على شندي وافتتاحها واشتداد الحملة منهم على بربر وخرطوم وذادهم خوفاً ورهبة انتقاض كثير من القبائل عَلَى مقربة من وادي حلفا وابي حمد واوشكت طائشة الفتنة ان تاخذ بقلوب الاهالي فيما تحت اصوان وافزعهم ما احسوه من اهالي القاهرة ومصر السفلى من تحول القلوب وضيق الانفس حتى اضطروا لزيادة الحرس فيها مع ان زيادة المعهود في المصريين انهم اهل السلم والراحة · قصدوا بكل هذا حماية طريق الهند خوفاً على الهند فبعد ما ورد الينا من اصدقائنا في لاهور ان لدعوة محمد احمد في قلوب الهنديين منزلة وانه لو لم يكن مهدياً فالضرورة قاضية عليهم باعتقاده كذلك عسى ان يكون في هذا الاعتقاد جمع لكلمتهم عَلَى التخلص من رق الانكليز جاءت التلغرفات شاهدة عَلَى

صدق ما كتب الينا فني الاخبار التلغرافية ان رجال الشرطة في سملا وجدوا اعلانات ملصقة عَلَى جدران المدينة مما كتب فيها اغراء المسلمين باجابة دعوة محمد احمد والقيام بنصرته وسملا هي في اخر الممالك الهندية الانكليزية من جهة الشمال الشرقي على القرب من لاهور . وهذا ما كنا نخشاه ونبهنا عليه مراراً . وربما تكون هذه الصدمات الشديدة التي صدعت انكلترا بعد استفحال امر محمد احمد كافية في اذعانها بان عاقبة الثورة السودانية اشد خطراً عليها من عاقبة الحركة التي سموها عرابية

رام الانكليز بكل هذه الاحتياطات المفيدة ان يقرروا الراحة في مصر فاذا الاموال تنهب والحقوق تضيع والادارات في فساد والتجارة في كساد والزراعة في بوار والظلم في اشتداد والامن مسلوب حتى عَلَى الارواح والاعراض كل هذا باعتراف جرائدهم ووزائهم وشهادة الجرائد المصرية الوطنية واجمع السياسيون في اوربا وجرائد العالم بعد اجماع الامة المصرية باسرها على ان الشقاء الذي الم باهل مصر بعد تداخل الانكليز ناشئاً عن هذا التداخل لم يرزاوا به في زمن من الازمان من عهد محمد علي الى الان . فانعم بهذه الوسائل التي اعدها الانكليز لتقرير الراحة في مصر واجمل بالوسائط التي استعملوها لحماية الهند

هذه بدايات القلاقل وبوادر المخاطر التي نشأت من شدة احتراس الانكليز وحرصهم عَلَى وقاية املاكهم او توسيعها يظهر من جعجعتهم اذا صاح بهم داعي الحرب وحيرتهم من اين يجندون الجنود هل من

الهند او انكلترا ومن موازينهم العسكرية ان ليس لهم قوة برية لحفظ الممالك الواسعة فكيف يستطيعون التصرف في مصر لو سادوا عليها وهي كما قال ناظر داخليتهم تحسب مملكة اوربية لا تسود فيها الاوهام ولا تدوم فيهـا سلطة الحيل ان لم يكن من المصريين فمن الاوربيين واي قوة تصون لهم الهند من فتنة اذا امتد زمن الاضطراب في مصر وقد جانا من اخبار الهند ان عموم المسلمين في هياج ويخشى ان تثور فيهم ثائرة عندما يتقدم محمد احمد خطوة اخرى

هذه العواقب السيئة ومـا يتوقع من مثلها او اسواء منها لدولة انكلترا انما هي حلقات في سلسلة اغلاطها من استيلائها عَلَى قبرص فانها اختلست تلك الجزيرة لمراقبة طريق الهند فنافستها فرنسا واستولت على تونس فتخوفت عَلَى قنال السويس ان يساق اليه جيش بري من افريقا الغربية فسعت في الايقاع بين الجند والحاكم في مصر وتذرعت بذلك للغارة عليها فنزل بها في تلك البلاد ما نزل

وبعث ذلك دولة فرنسا عَلَى ما بلغنا من مصدر يوثق به الى السعي في طريق يوصلها الى منـاكبة الانكليز في مصر عَلَى الحدود الغربية وربما جرت هذه المنافسات الى فتح المسئلة الشرقية وليس بقليل ما يصيب انكلترا من مضار هذه المسئلة فاي ثمرة جنتها انكلترا مما غرسته في هذه السنين الاخيرة لا هي صانة باب الهند من الخطر كما تروم ولا هي سكنت قلوب الهنديين وانمـا طرقت ابواباً كانت مغلقة

ويوشك ان تفتح ولئن فتحت فانها تحدث زلزالاً في اركان العالم باسره.
هذا شان الانكليز وما يفعلون

ويوجد اناس لهم مدخل في تقلب الاحوال المصرية ولهم مذاهب مختلفة في ترويج مقاصدهم لدى المصريين يمنونهم بالخلاص من ايدي الانكليز اذا آل اليهم السلطان في مصر بل يؤكدون لهم انه لو ثبتت اقدامهم في الديار المصرية لاحبطوا مساعي انكلترا في عموم البلاد الشرقية وسعوا في تقليص ظلها من المشرق باسره اخذاً بثارهم منها فهولاء سنأتي على احوالهم وتبين طرق سيرهم في اعمالهم حتى يكون ذوو الامال فيهم على بصيرة من امرهم

اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء

✲ التعصب ✲

لفظ شغل مناطق الناس خصوصاً في البلاد المشرقية تلوكه الالسن وترمي به الافواه في المحافل والمجامع حتى صار تكاة للمتكلمين يلجاء اليه العي في تهتهته والذ ملقاني في تفيهقه. اخذ هذا اللفظ بمواقع التعبير فقلما تكون عبارة إلا وهو فاتحتها او حشوها او خاتمتها

يعدون مسماه علة لكل بلاء ومنبعاً لكل عناء ويزعمونه حجاباً كثيفاً وسداً منيعاً بين المتصفين به وبين الفوز والنجاح ويجعلونه عنواناً على النقص وعلماً للرزائل والمتسربلون بسرابيل الافرنج الذاهبون في تقليدهم مذاهب الخبط والخلط لا يميزون بين حق وباطل هم احرص الناس على التشدق بهذا البدع الجديد فتراهم في بيان مفاسد التعصب يهزون الروس ويعبثون باللحاء ويبرمون السبال واذا رموا به شخصاً للحط من شانه اردفوه للتوضيح بلفظ افرنجي (فناتيك) فان عهدوا بشخص نوعاً من المخالفة لمشربهم عدوه متعصباً وهمزوا به وغمزوا ولمزوا واذا رأوه عبسوا وبسروا وشمخوا بانوفهم كبراً وولوه دبراً ونادوا عليه بالويل والثبور . ماذا سبق الى افهامهم من هذ اللفظ وماذا اتصل بعقولهم من معناه حتى خالوه مبدأ لكل شناعة ومصدراً لكل نقيصة وهل لهم وقوف على شيء من حقيقته

التعصب قيام بالعصبية والعصبية من المصادر النسبية نسبة الى العصبة وهي قوم الرجل الذين يعززون قوته ويدافعون عنه الضيم والعداء فالتعصب وصف للنفس الانسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه ووجوه الاتصال تابعة لاحكام النفس في معلوماتها ومعارفها

هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب واقام بناء الامم وهو عقد الربط في كل امة بل هو قوة المزاج الصحيح يوحد المتفرق منها

تحت اسم واحد وينشئها بتقدير الله خلقا واحداً كبدن تالف من اجزاء وعناصر تدبره روح واحدة فتكون كشخص يمتاز في اطواره وشؤنه وسعادته وشقائه عن سائر الاشخاص

وهذه الوحدة هي مبعث المباراة بين امة وامة وقبيل وقبيل ومباهاة كل من الامتين المتقابلتين بما يتوفر لها من اسباب الرفاهة وهناء العيش وما تجمعه قواها من وسائل العزة والمنعة وسمو المقام ونفاذ الكلمة والتنافس بين الامم كالتنافس بين الاشخاص اعظم باعث على بلوغ اقصى درجات الكمال في جميع لوازم الحياة بقدر ما تسعه الطاقة ٠

التعصب روح كلي مهبطه هيئة الامة وصورتها وسائر ارواح الافراد حواسه ومشاعره فاذا الم باحد المشاعر ما لا يلائمه من اجنبي عنه انفعل الروح الكلي وجاشت طبيعته لدفعه فهو لهذا مثار الحمية العامة ومسعر النعرة الجنسية ٠ هذا الذي يرفع نفوس آحاد الامة عن معاطاة الدنايا وارتكاب الخيانات فيما يعود على الامة بضرر او يوول بها الى سوء عاقبة وان استقامة الطباع ورسوخ الفضيلة في امة تكون على حسب درجة التعصب فيها والالتحام بين آحادها ٠ يكون كل منهم بمنزلة عضو سليم من بدن حي لا يجد الراس بارتفاعه غنى عن القدم ولا يرى القدمان في تطرفهما انحطاطاً في رتبة الوجود وانما كل يرى وظائفه لحفظ البدن وبقائه

كلما ضعفت قوة الربط بين افراد الامة بضعف التعصب فيهم

استرخت الاعصاب ورثت الاطناب ورقت الاوتار وتداعى بناء الامة الى الانحلال كما يتداعى بناء البنية البدنيه الى الفناء بعد هـذا يموت الروح الكلي وتبطل هيئة الامة وان بقيت آحادها فما هي إلا كالاجزاء المتناثرة اما ان تتصل بابدان اخرى بحكم ضرورة الكون واما ان تبقى في قبضة الموت الى ان ينفخ فيها روح النشأة الاخرة . سنة الله في خلقه اذا ضعفت العصبية في قوم رماهم بالفشل وغفل بعضم عن بعض واعقب الغلة تقطع في الروابط وتبعه تقاطع وتدابر فيتسع للاجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بداهم بافاضة روح التعصب في نشأة ثانية

نعم ان التعصب وصف كسائر الاوصاف له حد اعتدال وطرفا افراط وتفريط واعتداله هو الكمال الذي بينا مزاياه والتفريط فيه هو النقص الذي اشرنا الى رزاياه والافراط فيه مذمة تبعث عَلَى الجور والاعتداء فالمفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق ويرى عصبته منفردة باستحقاق الكرامة وينظر الى الاجنبي عنه كما ينظر الى الهمل لا يعترف له بحق ولا يرعى له ذمة فيخرج بذلك عن جادة العدل فتنقلب منفعة التعصب الى مضرة ويذهب بهاء الامة بل يتقوض مجدها فان العدل قوام الاجتماع الانساني وبه حياة الامم وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرها الى الزوال وهذا الحد من الافراط في التعصب هو الممقوت عَلَى لسان الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله

ليس منا من دعا الى عصبية الحديث · التعصب كما يطلق ويراد منه النعرة عَلَى الجنس ومرجعها رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد كذلك توسع اهل العرف فيه فاطلقوه عَلَى قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضا والمتنطعون من مقلدة الافرنج يخصون هذا النوع منه بالمقت ويرمونه بالتعس · ولانخال مذهبهم هذا مذهب العقل · فان لحمة يصير بها المتفرقون الى وحدة تنبعث عنها قوة لدفع الغائلات وكسب الكمالات لايختلف شأنها اذا كان مرجعها الدين او النسب وقد كان من تقدير العزيز العليم وجود الرابطتين في اقوام مختلفة من البشر وعن كل منهما صدرت في العالم آثار جليلة يفتخر بها الكون الانساني وليس يوجد عند العقل ادنى فرق بين مدافعة القريب عن قريبه ومعاونته عَلَى حاجات معيشته وبين مايصدر من ذلك عن المتلاحمين بصلة المعتقد ورابطة المشرب ·

فتعصب المشتركين في الدين المتوافقين في اصول العقائد بعضهم لبعض اذا وقف عند الاعتدال ولم يدفع الى جور في المعاملة ولاانتهاك لحرمة المخالف لهم او نقض لذمته فهو فضيلة من اجل الفضائل الانسانية واوفرها نفعاً واجزلها فائدة بل هو اقدس رابطة واعلاها اذا استحكمت صعدت بذوي المكنة فيها الى اوج السيادة وذروة المجد خصوصاً ان كانوا من قبيل قوي فيهم سلطان الدين واشتدت سطوته عَلَى الاهواء الجنسية حتى اشرف بها على الزوال كما في اهل الديانة

الاسلامية على ما اشرنا اليه في العدد الثاني من جريدتنا.

ولا يؤخذ علينا في القول بانه من اقدس الروابط فانه كما يطمس رسوم الاختلاف بين اشخاص وآحاد متعددة ويصل مابينهم في المقاصد والعزائم والاعمال كذلك يمحو اثر المنابذة والمنافرة بين القبائل والعشائر بل الاجناس المتخالفة في المنابت واللغات والعادات بل المتباعدة في الصور والاشكال ويحول اهوائها المتضاربة الى قصدواحد وهو تاصيل المجد وتابيد الشرف وتخليد الذكر تحت الاسم الجامع لهم. هذا الاثر الجليل عهد لقوة التعصب الديني وشهد عليه التاريخ بعد ما ارشد اليه العقل الصحيح وما كانت رابطة الجنس لتقوى عَلَى شيء منه

تغشغ جماعة من متزندقة هذه الاوقات في بيان مفاسد التعصب الديني وزعموا ان حمية اهل الدين لما يوخذ به اخوانهم من ضيم وتضافرهم لدفع مَا يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصدهم عن السير الى كمال المدنية ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة ويرمي بهم في ظلمات الجهل ويحملهم عَلَى الجور والظلم والعدوان عَلَى من يخالفهم في دينهم ومن راي اولئك المتفلقين ان لا سبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح إلا بانحلال العصبة الدينية ومحو اثرها وتخليص العقول من سلطة العقائد وكثيراً ما يرجفون باهل الدين الاسلامي ويخوضون في نسبة مذام التعصب اليهم

كذب الخراصون ان الدين اول معلم وارشد استاذ واهدى قائد

للانفس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف وارحم مؤدب وابصر مروّض يطبع الارواح على الاداب الحسنة والخلائق الكريمة ويقيمها على جادة العدل وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة خصوصاً دين الاسلام فهو الذي رفع امة كانت من اعرق الامم في التوحش والقسوة والخشونة وسما بها الى ارقى مراقي الحكمة والمدنية في اقرب مدة وهي الامة العربية

قد يطرأ على التعصب الديني من التغالي والافراط مثل ما يعرض على التعصب الجنسي فيقضي الى ظلم وجور ربما يؤدي الى قيام اهل الدين لابادة مخالفيهم ومحق وجودهم كما قامت الامم الغربية واندفعت على بلاد الشرق لمحض الفتك والابادة لا للفتح ولا للدعوة الى الدين في الحرب الهائلة المعروفة بحرب الصليب كما فعل الاسبانيوليون بمسلمي الاندلس وكما وقع قبل هذا وذاك في بداية ماحصلت الشوكة للدين المسيحي ان صاحب السلطان من المسيحيين جمع اليهود في القدس واحرقهم إلا ان هذا العارض لمخالفته لاصول الدين قلما تمتد له مدة ثم يرجع ارباب الدين الى اصوله القائمة على قواعد السلم والرحمة والعدل.

اما اهل الدين الاسلامي فمنهم طوائف شطت في تعصبها في بعض الاجيال الماضية الا انه لم يصل بهم الافراط الى حد يقصدون فيه الابادة واخلاء الارض من مخالفيهم في دينهم وما عهد ذلك في تاريخ المسلمين بعد ماتجاوزوا حدود جزيرة العرب ولنا الدليل الاقوم

على مانقول وهو وجود الملل المختلفة في ديارهم الى الآن حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها وهم في عنفوان القوة وهي في وهن الضعف نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة عَلَى من يعارضهم في سلطانهم إلا انهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الاديان و يرعون حق الذمة و يعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه و يدفعون عنه غائلة العدوان ومن العقائد الراسخة في نفوسهم ان من رضي بذمتنا فله مالنا وعليه ماعلينا ولم يعدلوا في معاملتهم لغيرهم عن امر الله في قوله ياايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو عَلَى انفسكم او الوالدين والاقربين اللهم إلا مالا تخلو عنه الطبائع البشرية ومن نشأة المسلمين الى اليوم لم يدفعوا احد من مخالفيهم عن التقدم الى مايستحقه من علو الرتبة وارتفاع المكانة ولقد سما في دول المسلمين عَلَى اختلافها الى المراتب العالية كثير من ارباب الاديان المختلفة وكان ذلك في شبيبتها وكمال قوتها ولم يزل الامر عَلَى ما كان وفي الظن ان الامم الغربية لم تبلغ هذه الدرجة من العدل الى اليوم (فسحقاً لقوم يظنون ان المسلمين بتعصبهم يمنعون مخالفيهم من حقوقهم)

لم يسلك المسلمون من عهد قريب مسلك الالزام بدينهم والاجبار عَلَى قبوله مع شدة باسهم في بدايات دولهم وتغلغلهم في افتتاح الاقطار واندفاع هممهم للبسطة في الملك والسلطة وانما كانت

لهم دعوة يبلغونها فان قبلت والا استبدلوها برسم مالي يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الاسلامي هذا عَلَى خلاف متنصرة الرومانيين واليونانيين ايام شوكتهم الاولى فانهم ما كانوا يطاؤن ارضاً الا ويلزمون اهلها بخلع اديانهم والتطوق بدين اولئك المتسلطين وهو الدين المسيحي كما فعلوا في مصر وسوريا بل في البلاد الافرنجية نفسها ·

هذا فصل من الكلام ساق اليه البيان وفيه تبصرة لمن يتبصر وتذكرة لمن يتذكر ثم اعود بك الى سابق الحديث فيما كنا بصدده هل لعاقل لم يصب برزيئة في عقله ان يعد الاعتدال من التعصب الديني نقيصة وهل يوجد فرق بينه وبين التعصب الجنسي الا بما يكون به التعصب الديني اقدس واطهر واعم فائدة · لانخال عاقلاً يرتاب في صحة ماقررنا فما لاولئك القوم يهذرون بما لايدرون اي اصل من اصول العقل يستندون اليه في المفاخرة والمباهاة بالتعصب الجنسي فقط واعتقاد فضيلة من اشرف الفضائل ويعبرون عنه بمحبة الوطن واي قاعدة من قواعد العمران البشري يعتمدون عليها في التهاون بالتعصب الديني المعتدل وحسبانه نقيصة يجب الترفع عنها ·

نعم ان الافرنج تأكد لديهم ان اقوى رابطة بين المسلمين انما هي الرابطة الدينية وادركوا ان قوتهم لاتكون الا بالعصبة الاعتقادية ولأولئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين واوطانهم فتوجهت عنايتهم

الى بث هذه الافكار الساقطة بين ارباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزقونها شيعا وأحزابا فانهم علموا كما علمنا وعلم العقلاء اجمعون ان المسلمين لايعرفون لهم جنسية الا في دينهم واعتقادهم وتسني للمفسدين نجاح في بعض الاقطار الاسلامية وتبعهم بعض الغفل من المسلمين جهلاً وتقليداً فساعدوهم على التنفير من العصبة الدينية بعد ما فقدوها ولم يستبدلوها برابطة الجنس التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حمقاً منهم وسفاهة فمثلهم كمثل من هدم بيته قبل ان يهيىء لنفسه مسكناً سواه فاضطر للاقامة بالعراء معرضاً لفواعل الجو وما تصول به على حياته

من هذا ما سلك الانكليز في الهند لما احسوا بخيال السلطنة يطوف على افكار المسلمين منهم لقرب عهدها بهم وفي دينهم ما يبعثهم على الحركة الى استرداد ما سلب منهم وارشدهم البحث في طبائع الملل الى ان حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينيه وما دام الاعتقاد المحمدي والعصبة المليةسائدة فيهم فلا تومن بعثتهم الى طلب حقوقهم فاستهووا طائفة ممن يشمون بسمة الاسلام ويلبسون لباس المسلمين وفي صدورهم غل ونفاق وفي قلوبهم زيغ وزندقة وهم المعروفون في البلاد الهندية بالنيجرية اي الدهريين فاتخذهم الانكليز اعواناً لهم على افساد عقائد المسلمين وتوهين علائق التعصب الديني ليطفئوا بذلك نار حميتهم ويخمدوا نائرة غيرتهم ويبددوا جمعهم ويمزقوا شملهم وساعدوا تلك

الطائفة عَلَى انشاء مدرسة كبيرة في (عليكر) ونشر جريدة لبث هذه الاباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف في العقائد وترث اطناب الصلات بين المسلمين فيستريح الانكليز في التسلط عليهم وتطمئن قلوبهم من جهتهم كما اطمانت من جهة غيرهم وغر اولئك الغفل المتزندقين ان رجال دولة بريطانيا يظهرون لهم رعاية صورية ويدنونهم من بعض الوظائف الخسيسة (تعس من يبيع ملته بلقمته وذمته برذال العيش)

هذا اسلوب من السياسة الاوربية اجادت الدول اختباره وجنت ثماره فاخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل في البلاد العثمانية والمصرية وغيرها من الممالك الاسلامية ولم تعدم صيدا من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه الاهواء الباطلة ولكنا نعجب من ان بعضاً من سذج المسلمين مع بقائهم عَلَى عقائدهم وثباتهم في ايمانهم يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني ويهجرون في رمي المتعصبين بالخشونة والبعد عن معدات المدنية الحاضرة ولا يعلم اولئك المسلمون انهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون شانهم ويخربون بيوتهم بايديهم وايدي المارقين يطلبون محو التعصب المعتدل وفي محوه محو الملة ودفعها الى ايدي الاجانب يستعبدونها ما دامت الارض ارضاً والسماء سماء

والله ما عجبنا من هولاء وهولاء باشد من العجب لاحوال الغربيين من الامم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تشيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة . الافرنج اشد الناس في هذا النوع من التعصب واحرصهم على القيام بدواعيه ومن القواعد الاساسية في حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم علَى نجاح اعمالهم واذا عدت عادية مما لا يخلو منه الاجتماع البشري علَى واحد ممن علَى دينهم ومذهبهم في ناحية من نواحي الشرق سمعت صياحاً وعويلاً وهيعات ونبآءت تتلاقى امواجها في جو بلاد المدنية الغربية وينادي جميعهم الا قد الم ملمة وحدثت حادثة مهمة فاجمعوا الامر وخذوا الاهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لا تنخدش الجامعة الدينية وتراهم علَى اختلافهم في الاجناس وتبغاضهم وتحاقدهم وتنابذهم في السياسات وترقب كل دولة منهم لعثرة الاخرى حتى توقع بها السوء يتقاربون ويتالفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في اقصى قاصية من الارض ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية

اما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وغمر البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم احساس بل يتغافلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى ياخذ مده الغاية

من حده ويذهلون عما اودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والمرحمة الطبيعية كانما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة والهمل الراعية وليس من نوع الانسان الذي يزعم الاوربيون انهم حماته وانصاره وليس هذا خاصاً بالمتدينين منهم بل الدهريون ومن لا يعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الديني ولا يالون جهداً في تقوية عصبيتهم وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيراً ما تجاوزوه · اما ان شان الافرنج في تمسكهم بالعصبية الدينية لغريب · بلغ الرجل منهم اعلى درجة في الحرية الفكرية حتى يرفعونه الى الرئاسة على الاحزاب الحرة كغلادستون واضرابه ثم لا نجد كلمة تصدر عنه إلا وفيها نفثه من روح بطرس الراهب بل لا نرى روحه إلا نسخة من روحه (انظر الى كتب غلادستون وخطبه السابقة) فيا ايتها الامة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ودماؤكم فلا تريقوها وارواحكم فلا تزهقوها وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت · هذه هي روابطكم الدينية لا تغرنكم الوساوس ولا تستهوينكم الترهات ولا تدهشكم زخارف الباطل ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي احكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي والفارسي بالهندي والمصري بالمغربي وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى ان الرجل منهم ليألم لما يصيب اخاه من عاديات الدهر وان تنأت دياره وتقاصت اقطاره · هذه صلة من امتن الصلات ساقها الله اليكم وفيها

عزتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها

ولكن عليكم في رعايتها ان تخضعوا لسطوة العدل فالعدل اساس الكون وبه قوامه ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم وعليكم ان تتقوا الله وتلزموا اوامره في حفظ الذمم ومعرفة الحقوق لاربابها وحسن المعاملة واحكام الالفة في المنافع الوطنية بينكم وبين ابناء اوطانكم وجيرانكم من ارباب الاديان المختلفة فان مصالحكم لاتقوم الا بمصالحهم كما لاتقوم مصالحهم الا بمصالحكم وعليكم ان لاتجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان وذريعة لانتهاك الحقوق فان دينكم ينهاكم عن ذلك ويوعدكم عليه باشد العقاب · هذا ولا تجعلوا عصبتكم قاصرة عَلَى مجرد ميل بعضكم لبعض بل تضافروا بها عَلَى مباراة الامم في القوة والمنعة والشوكة والسلطان ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الانسانية · اجعلوا عصبتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم واجتماع شملكم واخذ كل منكم بيد اخيه ليرفعه من هوة النقص الى شاهق الكمال وتعاونوا عَلَى البر والتقوى ولا تعانو على الاسم والعدوان

هول الامر على كوردون

اخبر مراسل التمس في خرطوم ان تلك المدينة اصبحت معسكرا لاعوان الثورة ومضاربهم محيطة بها من جميع الجوانب والمقذوفات من نيران اسلحتهم

تنقض عَلَى دار الحكومة بلا انقطاع والمؤنة في نقصان بين والخطر يشتد يوماً بعد يوم وبعد افراغ الوسع في اختراق صفوف الثائرين بالمراكب تسير الى بربر لفتح طريق المخابرة مع حاميتها حبط العمل وخاب المسعى فان قوة العربان عَلَى شواطي النيل تصول على المراكب باسلحتها القاتلة وتفتك بمن فيها واتبع هذا الكلام بقوله ان الجنرال كوردون عقد العزيمة عَلَى ان ينجو بنفسه من طريق افريقا الوسطى حيث تحقق ان حكومته غير مهتمة بانقاذه ويرى انه لاسبيل الى الاتفاق مع القبائل التي اخذت عليه طريق بربر الا بمساعدة زبير باشا (اليوم يضطر لمساعدة زبير باشا)وهو من اعدائه ولا نرى الزبير الا مسلماً لو سمحت ذمته بانقاذ حياة كوردون فلا تسمح بان يكون السودان ولاية انكليزية وفي جريدة الاكستراباﻻت ان الحكومة الانكليزية ورد اليها كتاب من كوردون مفادة : ليس في طاقة احد من البشر ان ينجينا من الخطر لاننا محاطون من جميع الاطراف بالقبائل الثائرة فلم يبق لنا سوى التضرع الى الله بتبديد شملهم فان لم تسعفنا العناية الالهية باجابة دعوتنا فلا ريب ان تلك القبائل تنهب وتفتك بجميع سكان خرطوم قبل وصول نجدة انكليزية الينا . (وليته سأل الله تعالى حل المسئلة السودانية وفوض اليه الامر فيها واراح نفسه من السفر الى خرطوم) وجات الاخبار الاخيرة بان مدينه شندي وهي عَلَى النيل في منتصف الطريق بين بربر وخرطوم وقعت في ايدي رجال محمد احمد هذا بعد ان طلب الجنرال كوردون من حكومته ان ترسل فريقاً من الجيوش لتخليص حامية تلك المدينة وموظفي ادارتها ورأت الحكومة من الصواب ان لاترسل فلما ضاق الامر على الحامية ويئسوا من القدرة عَلَى الدفاع ركن فريق منهم يبلغ ثلاثماية شخص الى الفرار واندفعوا عَلَى صفوف محاصريهم لعلهم يجدون من بينهـا سبيلا فلم يستطيعوا ونزل بهم من امر الله مالا محيد عنه . بعث الجنرال كوردون بتلغراف الى القاهرة يشكو فيه عدم وصول الاخبار اليه من السير بارين (وكيل انكلترا السياسي في مصر) قال التمس ولعل التلغرافات التي بعث بها بارين اليه

تناولها الثائرون ومن كلام هذه الجريدة ان الحكومة الانكليزية ارسلت الجنرال الى السودان وفوضت اليه الامر فيما يفعله ليصيب بتدبيره غاية حسنة ونرى ان هذه الحكومة غلت يديها بترك الجنرال وشأنه وانه مما يلحق بها عاراً عظيما اشتدت حملة القبائل عَلَى بربر وخارت عزائم حاميتها وسكانها واخذ اليأس بقلوبهم وورد تلغراف من مدير بربر الى الوزارة المصرية يشكو به تلك الحالة ويقول انه لايمضي بضعة ايام حتي يفتحها الثائرون ويحل بها من ايديهم ماحل بمدينة شندي . وبعد هذا جاء تلغراف من القاهرة مفاده ان نوبار باشا يخشى ان يمتد لسان الفتنة الى اصوان في وقت قريب وانا نشاركه في هذا الخوف ونزيد عليه الاشفاق من التهاب النيران في عرصات القاهرة واطراف القطر المصري ولا حول ولا قوة الا بالله

محاولة في مصر

كل يوم يظهر من انكلترا شأن جديد في معاملة الشرقيين والطرق التي تاخذهم بها لقضاء اوطارها من بلادهم وتلاعبهم وتداعبهم وتجاملهم وتلاطفهم وتعدهم وتمنيهم وتخيفهم وتومنهم حتى تشتبه عليهم مسالك الفكر وتلتبس مسارح النظر ثم تحملهم بعد الدهشة عَلَى قبول سلطتها والرضا بولايتها بل عَلَى طلب ذلك منها والتماسه من كرمها وهي في كل اعمالها تهزأ بهم وتحسبهم في عدد الصبيان القاصرين او من قبيل البهم التي لاتعقل سلكت مسلكها هذا عَلَى بعض من اوربا وانفردت به في الاقطار الهندية النائية وليس لدولة من الدول الخاطة بما تجر به في حكومتها لتلك البلاد ثم تطرفت في هذا المشرب فعمدت الى استعماله في تحت مصر انظار اوربا وقصدت ان تدعوا المصر بين للاقرار بحمايتها ورفع التماسهم اليها لعل كرمها يسمح بمنحهم شرف سيادتها عليهم لكن الحيلة لم تذهب عَلَى المصريين ولم تختلس عقولهم تلك الشعوذات فقد جاء في خبر مؤكد ان مأموري الحكومة الانكليزية في

مصر حاولوا تكليف الاهالي بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية دولة انكلترا ليكون التماس الاهالي حجة لديها عند الدول تقيم بها عذراً في اخلاف وعودها حتى اذا حاسبوها عَلَى تصرفها في ارض مصر وضمها الى املاكها تدعي انها مضطرة فيما تصنع والاهالي هم الذين رغبوا اليها ذلك وهي لا تأبى قبول رغبتهم رحمة بهم ورافة هكذا تحاول ان تفعل في مصر وهي متاخمة لاوربا وفيها من الاوربيين المختلفي الاجناس مايزيد عَلَى مائة الف ولا تخشي لائمة ولا تخاف عاقبة وان ظننا بالمصريين عَلَى اختلاف طبقاتهم انهم لن يفعلوا ذلك مادامت ارواحهم في ابدانهم

رأي الجرائد الفرنساوية في الانكميز

ارتفع الستار وانهتك الحجاب عن ضعف الحكومة الانكليزية ووهن عزيمتها في المسئلة المصرية ولم تبق فيه ريبة لمرتاب بين الدول الاوربية وانطلقت عليها الالسن وسلت عليها سيوف الملام من ذلك ماهزأت به جريدة الريبوبليك فرنسيز وسخرت فيه بدولة انكلترا عند كلامها عَلَى فصل نشر في جريدة البال مال غازيت . قالت . ان ماتهددنا به الجرائد الانكليزية لا تأخذنا منه رهبة ولا ترعدنا منه خيفة بعد ان رأى الفرنساويون عجز حكومة بريطانيا عن حماية گوردون وعلموا ان عدداً من عرب السودان اخترق صفوف الجيوش الانكليزية المنظمة وما كان لهم سلاح الا العصى والخناجر وان فرنسا لاتزال تطلب من انكلترا ان تعيد اليها مافقدته من خطة السلطة في شواطي النيل وما ظهر من عجز انكلترا وضعفها القاضي بالحيرة والعجب لايخفف سوء تأثيره الا بمساعدة فرنسا . فعد كليفور لو بد من المصريين مصاعد الانفاس وخنقهم بخناق من الجور وصار فيهم خلفا لعرابي (كذا) ونعم الخلف والى القوة الفرنساوية فك هذا الخناق الضيق الذي كاد يقطع انفاس المصريين اما اوربا فتستريح خواطرها ويسكن اضطرابها بعد ما اقلقها ضعف الانكليز الذي لادواء له ومطامعهم التي لاحد لها اه . فهل انكشف للشرقيين ماوضح لدى الاوربيين اولا يزالون عنه غافلين

خديعة جديدة

اقبل الانكليز ايام الحركة السابقة عَلَى بعض المصريين وزخرفوا لهم الاماني وزينوا لهم في المواعيد حتى استعملوهم لتذليل المصاعب بين ايديهم لدخول مصر والاستقرار فيها بعساكرهم وتم لهم ما ارادوا ثم قلبوا لهم ظهر المجن تحت استار الحجج والتعللات وقبضوا عَلَى زمام الحكومة المصرية يصرفونها كيف يشاؤن ولما ارادت الدولة العثمانية بما لها من الحق القانوني عَلَى تلك البلاد ان تتولى حل المسئلة التي كان يعبر عنها بالعسكرية وان ترسل بعض جيوشها لاقرار الراحة في بلادها طبقاً لرغبة رعاياها مانعها الانكليز وكفوا يدها عن العمل وسبقوها اليه بدون حق شرعي ولا اصل ساسي ولا رغبة عامة من اهالي القطر المصري واليوم عند اشتداد الخطب عَلَى الجنرال كوردون الانكليزي وعجز حكومته عن انقاذه وتوقيف حركة محمد احمد الجأتهم الضرورة الى الرجوع لما نبهنا عليه مراراً من ان هذه الفتن لا يطفي شعلتها رذاذ السياسة الانكليزية وتمنوا لو تتداخل الدولة العثمانية ببعض عساكرها في السودان لتنقذ الجنرال كوردون وتأخذ بناصية محمد احمد وتبدد شمل احزابه . هكذا رأي الجنرال في هذه الايام ان انجع الوسائل لحل المشكل تحسين جيش عثماني وسوقه الى تلك الاقطار فكتب الى صديقه ساموبل باكر يرغب اليه ان يتقدم لارباب الثروة في انكلترا واميركا ويحملهم عَلَى بذل مائتي الف جنيه ليعرضوها عَلَى السلطان العثماني حتى ينفقها عَلَى الفين او ثلاثة الآف من العساكر التركية ويسيرها الى نواحي بربر وشندي ويكون بهذا انهاء المسئلة السودانيه وهدم سلطة محمد احمد وقال انه مما يعود نفعه عَلَى السلطان ايضاً

يريد الجنرال ان يخدع العثمانيين بتمثيل منافعهم كما خدع امثاله بعض المصريين وحاشاهم ان ينخدعوا لمثل هذه التخيلات الوهمية ومن العار عليهم ان يقبلوا ما يتكففه الجنرال كوردون من صدقات اهل الثروة في بلاده للنفقة عَلَى

عساكرهم واشد العار ان يذهبوا بجيوشهم لتدويخ بلادهم واخضاعها لسلطة الانكليز والعساكر الانكليزية حالة بحصون مصر . نعم لو اذعن الانكليز بما للدولة العثمانية من الحق وتركوا لها بلادها وفوضوا اليها اعادة الراحة فيها واهماد فتنة السودان فلا نخال الدولة تتأخر عن القيام بما يفوض اليها بل هو ما تتمناه وتسعى اليه ولعل الحوادث تلجيء دولة بريطانيا الى مثل ما لجأ اليه كوردون فتسلم الامر لمالكه وما ذلك عَلَى الله بعزيز .

دسيسة اخرى

هياء الانكليز فتنة فكانت واغاروا عَلَى مصر بحجة اهمادها واوثقوا الدول عَلَى ان تكون اقامتهم في الديار المصرية الى ان تستقر الراحة فيها ثم يخرجون ولكنهم بعد ماحلوها لا يزالون يسعون من يوم وطئوها الى اليوم في ايقاظ الفتن ويجهدون لاقلاق الخواطر ليقدموا مايكون من هذا عذراً لدى الدول في تطويل مدة اقامتهم بالقطر المصري لعلهم يجدون من تقلبات السياسة الاوربية فرصة للحلول الابدي ومن ذلك ماسولوا للاروام ان يحتفلوا بعيد استقلالهم عَلَى نمط لم يسبق له نظير في الاقطار المصرية من قبل وزينوا لهم مافعلوا بما يقدرون عليه من طرق الخفية حتى انخدع الاروام لوساوسهم مع انهم احق الناس برعاية الادب وما كان مثل ذلك من مأموري الانكليز في مصر الا ليقبلوا افكار المصريين ويحركوا الضغائن في نفوسهم ويذكروهم بما كان بينهم وبين اليونانيين ايام ابراهيم باشا فيوقظوا بذلك الفتنة بين سكان القاهرة وبعض المدن المصرية وبين من يساكنهم من الملل الاجنبية ويعيدوا تاريخ بعض الحوادث المشؤمة التي كادت تمحى دواعيها بعد ماحدث من نحو سنتين ثم يجعلوا مايحدث من اختلال علة لدوام الاحتلال او التسويف في الجلاء

باريس

يوم الخميس في ٤رجب سنة١٣٠١ و ١ مايو سنة ١٨٨٤

التوي سير السياسة الانكليزية في المسئلة المصرية وقزلت الوزارة الغلادستونية في المضي الى نهايتها فسقطت مراراً ونهضت مراراً وآل بها الامر بعد هذا الى عجز عن اداء ماتعهدت به للدول وللدولة العثمانية من اصلاح الاحوال المصرية وفزع شديد من عقبى هذا الفتن التي تداعت لها اركان النظام المصري فلجأت الى الدول الاوربية تستعين بها عَلَى تخفيف الوزر والتمست منها عقد مؤتمر في لوندرا وتعللت في دعوتها الى الاشتراك معها في الامر بفراغ الخزينة المصرية لكثرة النفقات والنقص في الايراد فلا يمكن بقانون التصفية الذي وضع باتفاق من الدول العظام الا انها شرطت عَلَى الدول ان تكون المداولة في المؤتمر منحصرة في المسائل المالية ولا يجوز لهم ان يتعدوها الى ذكر شي آخر الاحوال المصرية الحاضرة او الماضية اما الدول فقدقبلت الدخول في المؤتمر على شرط مبهم وهو ان نوابهم يبحثون فيما يبحث فيه المؤتمر إلا دولة المانيا فانها لم تجب الى الان جواباً رسميا ويغلب عَلَى الظن في الدوائر السياسية انها تتبع في جوابها دولة فرنسا واتفقت عَلَى ذلك اغلب الجرائد الالمانية وزادت دولة فرنسا في جوابها ان طبيعة المسائل التي

يجري فيها البحث ربما لاتقف بالباحثين عند حد النظر في المالية بل تنجر بهم الى ذكر كثير من المشاكل المصرية الحاضره ٠

اما هذا فلم يكن خافياً على انكلترا فان النظر في المالية مع الاضطراب الواقع في الديار المصرية وتزعزع اركان السلم فيها لاتخلو نتيجته من احد امرين اما تقدير الايراد والمصرف بمبالغ محدده وتخصيص شيء معين من الايراد لوفاء فايدة الدين مع تخفيض الفايدة مثلاً ثم يوضع قانون تمضي عليه الدول كما فعل في قانون التصفية وهذا مما لايتصوره العقل فان عساكر الحلول الانكليزية لم تزل في ارض مصر ومصاريفها عَلَى الخزينة المصرية ولم يعلم اجل اقامتها ولا مبلغ عددها والفتن قائمة في الجهات السودانية والحكومة المصرية مكلفة بتوقيفها عند حد لايخل براحة البلاد ولهذا العمل مصاريف ونفقات لايمكن تحديدها ولا تقديرها فكيف يمكن الوصول الى تعيين النفقات واحصائها على وجه منضبط والاضطراب الداخلي والاختلال الفاشي في الادارات ودوائر الحكومة العليا والدنيا الذي حدث بتخلل الانكليز فيها وقف حركة الاعمال النافعة من زراعة وتجارة وصناعة فكيف يمكن ضبط الايراد على نمط يعرف و يولف فلم يكن غرض انكلترا من الدعوة الى المؤتمر ان تصل الى مثل هذه الغاية التي لااهمية لها مع بعدها

الامر الثاني ان ينساق البحث في المسائل المالية والنظر في الايراد

والمصرف الى مايلزم لاستقرار الراحة في مصر من العساكر وما تطلبه من النفقات وما يستدعيه اطفاء فتنة السودان وما تحتاج اليه المحاكم الجديدة وغير ذلك مما تعرضه انكلترا وتبين للدول ان مالية مصر ليس في طاقتها ان تفي بجميع هذه النفقات الواسعة ولو كلفت باداء بعضها فضلاً عن كلها لحق الضرر بارباب الديون فأحسن وسيلة للتخفيف عن المالية المصرية مع حفظ الحقوق لاربابها ان تكون الديون المصرية تحت ضمانة انكلترا وهي تؤدي فوائدها في ازمانها · تطلب من الدول بعد هذا ان تفوض اليها التصرف في الاقطار المصرية وتأخذ التبعة على نفسها في بذل الاموال وقتل الارواح وهذا الذي يمكن ان تفعله انكلترا بعد عجزها وربما مست حقوق الدولة العثمانية في مطاليبها هذه الا ان التلغرافات نقلت الينا مايتحدث به في الدوائر السياسية بالاستانة وهو ان الدولة العثمانية ستشترط لقبول انتظامها في المؤتمر شروطاً صعبة يعز على انكلترا قبولها لينكشف الستار عن مقاصدها في مصر ومن جملة تلك الشروط ان تستبدل العساكر الانكليزية الحالة في مصر بعساكر عثمانية لان نفقات الجيوش العثمانية اقل من نفقات الانكليزية وهذا هوما يؤمل في الدولة العثمانية في هذه الاوقات وانها فرصة لو فاتت فقل ان يأتي مثلها وللدولة العثمانية بسلطتها على قلوب المسلمين شرقاً وغرباً قوة ترتعد منها فرائص الانكليز فامل اوليائها اليوم ان تستعمل تلك القوة الفائقة وتجعل لها اثراً في استرداد حقوقها

وعندنا ان رجال الدولة العثمانية لايغفلون عن هذا . اما الحكومة الفرنساوية فقد عقدت عزيمتها على مطالبة انكلترا باعادة نفوذ الفرنساوي بين في مصر كما كان قبل المراقبة والجرائد الفرنساوية على اتفاق في تبيين خلل السياسة الانكليزية وبيان سوء مقاصد الانكليز والالحاح على حكومتهم الا تعترف لانكلترا باي امتياز بسبب ما فعلته في واقعة التل الكبير وهذا ما ترتجف منه الجرائد الانكليزية عموماً وتخشى عاقبته ونظنها اسواء عاقبة عليهم

هذا ما يتعلق بورطتهم الجديدة التي يظنون فيها خلاصهم وبقي عليهم ما لانظن ولا يظنون لهم منه نجاة دخل الثائرون مدينة بربر كما انبأت به اواخر الاخبار واعبت عواصف الفتنة باطراف مصر العليا واكدت اخبار التلغرفات انها لم تقف عند حدها بل حركت السواكن في مصر السفلى ووراء ذلك من الويل ما ورآه فاين الخلاص لدولة انكلترا . نعم لمعت بارقة حق في عقول بعض ذوي الراي من رجالها فطلبوا ان تكون العساكر التي تبعث الى مصر مؤلفة من عثمانية وانكليزية وهو نوع تقرب لما قلناه مراراً من ان هذه الفتن لا يدفع غائلتها إلا المسلمون ولكن عليهم ان يخلصوا ارائهم من الشائبة الانكليزية والا فلا نجاح والله يفعل ما يشاء

العروة الوثقى

تاتي في فصولها عَلَى اهم ما له اثر في احوال الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً فلا تلام اذا اطنبت في مسئلة شرقية عامة ولا اذا اغفلت ذكر بعض اخبار من اميركا وجابونيا

نبهنا في اول عدد صدر منها على ان القائم بها رجال من اهل الغيرة في الشرق هموا باعمال تفيد اوطانهم وملتهم مع رعاية جانب العدل والسير عَلَى وفق الحكمة ومن ظن ان توزيعها مجاناً يقتضي ان تكون منسوبة لدولة من الدول او شخص من ذوي المطامع في امارة او ملك فانما نشاء ظنه هذا من الياس المستحكم في نفسه والقنوط من نهوض همم بعض المسلمين بعمل صغير كهذا ولا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون

هذه جريدة لا سعة فيها للتنابذ والتقاذف ولا يذكر فيها اسم شخص او لقبه إلا اذا كان له قول او عمل يفيد البحث فيه فائدة عامة

القضاء والقدر

مضت سنة الله في خلقه بان للعقائد القلبية سلطاناً عَلَى الاعمال البدنية فما يكون في الاعمال من صلاح او فساد فانما مرجعه فساد العقيدة

وصلاحها على مـا بينا في بعض الاعداد الماضية ورب عقيدة واحدة تاخذ باطراف الافكار فيتبعها عقائد ومدركات اخرى ثم تظهر على البدن باعمال تلائم اثرها في النفس ورب اصل من اصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت على الانفس في تعليم او تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بمـا ليس من قبيلها او تصادف عنده بعض الصفات الرديئة او الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شيء مما تصادفه وفي كلا الحالين يتغير وجهها ويختلف اثرها وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطا في الفهم او على خبث الاستعداد فتنشاء عنها اعمال غير صالحة وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ولا كيف يصرفه اعتقاده والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض اصول الاديان غالباً بل هو علة البدع في كل دين على الاغلب وكثيراً ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشاء لفساد الطباع وقبائح الاعمال حتى افضى بمن ابتلاهم الله به الى الهلاك وبئس المصير وهذا مايحمل بعض من لاخبرة لهم على الطعن في دين من الاديان او عقيدة من العقائد الحقـة استناداً الى اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين او العقيدة ٠

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التي تعد من اصول العقائد في

الديانة الاسلامية الحقة . كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون وزعموا انها ماتمكنت من نفوس قوم إلا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطواراً ثم حصروا علتها في الاعتقاد بالقدر فقالوا ان المسلمين في فقر وفاقة وتأخر في القوى الحربية والسياسية عن سائر الامم وقد فشى فيهم فساد الاخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها و يشربون و ينامون ثم لاينافسون غيرهم في فضيلة ولكن متى امكن لاحدهم ان يضر اخاه لايقصر في الحاق الضرر به فجعلوا باسهم بينهم والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد اخرى رضوا بكل عارض واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا الى السكون في كسور بيوتهم يسرحون في مرعاهم ثم يعودون الى ماواهم الامراء فيهم يقطعون ازمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات وعليهم فروض وواجبات تستغرق في ادائها اعمارهم ولا يؤدون منها شيئا . يصرفون اموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ولكن لايدخل في حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة يتخازلون ويتنافرون و ينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية فرب تنافر بين اميرين يضيع امة كاملة كل منهما يخذل صاحبه و يستعدي عليه جاره فيجد الاجنبي فيهما قوة فانية وضعفاً

قاتلاً فينال من بلادهما مالا يكلفه عددا ولا عدة . شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور يفزعون من الهمس ويألمون من اللمس . قعدوا عن الحركة الى مايلحقون به الامم في العزة والشوكة وخالفوا في ذلك اوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون واذا اصاب قوماً من اخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لايسعون في تخفيف مصابهم ولا ينبعثون لمناصرتهم ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة لاجهرية ولا سرية يكون من مقاصدها احياء النيرة وتنبيه الحمية ومساعدة الضعفاء وحفظ الحق من بغي الاقوياء وتسلط الغرباء . هكذا انسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الاطوار وزعموا ان لامنشاء لها الا اعتقادهم بالقضاء والقدر وتحويل جميع مهماتهم عَلَى القدرة الالهية وحكموا بان المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ولن ينالوا عزاً ولن يعيدوا مجداً ولا يأخذون بحق ولا يدفعون تعديا ولا ينهضون بتقوية سلطان او تأييد ملك ولا يزال بهم الضعف يفعل في نفوسهم ويركس من طباعهم حتى يؤدي بهم الى الفناء والزوال (والعياذ بالله) يغني بعضهم بعضاً بالمنازعات الخاصة وما يسلم من ايدي بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد اولئك الافرنج انه لافرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور محض في جميع افعاله وتوهموا ان المسلمين بعقيدة القضاء يرون انفسهم كالريشة

المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ومتى رسخ في نفوس قوم انه لاختيار لهم في قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون وانما جميع ذلك بقوة جابرة وقدرة قاسرة فلا ريب تتعطل قواهم ويفقدوا ثمرة ماوهبهم الله من المدارك والقوى وتمحي من خواطرهم داعية السعي والكسب واجدر بهم بعد ذلك ان يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم . هكذا ظنت طائفة من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق ولست اخشى ان اقول كذب الظان واخطاء الواهم وابطل الزاعم وافتروا عَلَى الله والمسلمين كذبا. لايوجد مسلم في هذا الوقت من سني وشيعي وزيدي واسماعيلي ووهابي وخارجي يرى مذهب الجبر المحض ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بان لهم جزاء اختيارياً في اعمالهم ويسمى بالكسب وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختياري ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية والنواهي الربانية الداعية الى كل خير الهادية الى كل فلاح وان هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكليف الشرعي وبه تتم الحكمة والعدل

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى ان الانسان مضطر في جميع افعاله اضطراراً لايشوبه اختيار وزعمت ان لافرق بين أن يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ وبين ان يتحرك بقفقفة البرد عند شدته ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من

منازع السفسطة الفاسدة وقد انقرض ارباب هذا المذهب في اواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم اثر · وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ماظنه اولئك الواهمون

الاعتقاد بالقضاء يويده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة وسهل على من له فكر ان يلتفت الى ان كل حادث له سبب يقارنه في الزمان وانه لايرى من سلسلة الاسباب إلا ما هو حاضر لديه ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها وان لكل منها مدخلاً ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم · وارادة الانسان انما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة وليست الارادة الا اثراً من اثار الادراك والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس وشعورها بما اودع في الفطرة من الحاجات فلظواهر الكون من السلطة عَلَى الفكر والارادة ما لا ينكره ابله فضلاً عن عاقل وان مبدء هذه الاسباب التي ترى في مظاهر مؤثرة انما هو بيد مدبر الكون الاعظم الذي ابدع الاشياء عَلَى وفق حكمته وجعل كل حادث تابعاً لشبهه كانه جزاء له خصوصاً في العالم الانساني

ولو فرضنا ان جاهلاً ضل عن الاعتراف بوجود اله صانع للعالم فليس في امكانه ان يتملص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في الارادات البشرية فهل يستطيع انسان ان يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنها الله في خلقه · هذا امر يعترف

به طلاب الحقائق فضلاً عن الواصلين وان بعضاً من حكماء الافرنج وعلماء سياستهم التجاوا الى الخضوع لسلطة القضاء واطالوا البيان في اثباتها ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بارائهم

ان للتاريخ علماً فوق الرواية عنى بالبحث فيه العلماء من كل امة وهو العلم الباحث عن سير الامم في صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها وما ينشاء عنها من التغيير والتبديل في العادات والاخلاق والافكار بل في خصائص الاحساس الباطن والوجدان وما يتبع ذلك كله من نشاة الامم وتكون الدول او فناء بعضها واندراس اثره . هذ الفن الذي عدوه من اجل الفنون الادبية واجزلها فائدة بناء البحث فيه عَلَى الاعتقاد بالقضاء والقدر والاذعان بان قوى البشر في قبضة مدبر للكائنات ومصرف للحادثات ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ولا ضعف قوي ولا انهدم مجد ولا نقوض سلطان

الاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجراءة والاقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور . هذا الاعتقاد يطبع الانفس عَلَى الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال ويحليها بحلي الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها عَلَى بذل الارواح والتخلي عن نضرة الحياة كل هذا في سبيل الحق الذي

قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة · الذي يعتقد بان الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه واعلاء كلمة امته او ملته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الأوامر الالهية واصول الاجتماعات البشرية

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله الحق الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم · اندفع المسلمون في اوائل نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها فادهشوا العقول وحيروا الالباب بما دوخوا الدول وقهروا الامم وامتدت سلطتهم من جبال بيريني الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا الى جدار الصين مع قلة عددهم وعددهم وعدم اعتيادهم على الاهوية المختلفة وطبائع الاقطار المتنوعة ارغموا الملوك واذلوا القياصرة والاكاسرة في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة · ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات

دمروا بلاداً ودككوا اطواداً ورفعوا فوق الارض ارضاً ثامنة من القسطل وطبقة اخرى من النقع وسحقوا روس الجبال تحت حوافر جيادهم واقاموا بدلها جبالاً وتلالاً من روس النابذين لسلطانهم وارجفوا كل قلب وارعدوا كل فريصة وما كان قائدهم وسائقهم الى

جميع هذا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر

هذا الاعتقاد هو الذي ثبتت به اقدام بعض الاعداد القليلة منهم امام جيوش يغص بها الفضاء ويضيق بها بسيط الغبراء فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على اعقابهم

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق وانقضت شهبها عَلَى الحيارى في هبوات الحروب من اهل المغرب وهو الذي حملهم عَلَى بذل اموالهم وجميع ما يملكون من رزق في سبيل اعلاء كلمتهم لا يخشون فقراً ولا يخافون فاقة · هذا الاعتقاد هو الذي سهل عليهم حمل اولادهم ونسائهم ومن يكون في حجورهم الى ساحات القتال في اقصى بلاد العالم كانما يسيرون الى الحدائق والرياض وكانهم اخذوا لانفسهم بالتوكل عَلَى الله امانًا من كل غادرة واحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يصونهم من كل طارقة وكان نساؤهم واولادهم يتولون سقاية جيوشهم وخدمتها فيما تحتاج اليه لا يفترق النساء والاولاد عن الرجال والكهول الا بحمل السلاح ولا تاخذ النساء رهبة ولا تغشى الاولاد مهابة · هذا الاعتقاد هو الذي ارتفع بهم الى حد كان ذكر اسمهم يذيب القلوب ويبدد افلاذ الاكباد حتى كانوا ينصرون بالرعب يقذف به في قلوب اعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة قبل ان يشيموا بروق سيوفهم ولمعان اسنتهم بل قبل ان تصل الى تخومهم اطراف جحافلهم

(بكاي عَلَى السالفين ونحيبي عَلَى السابقين اين انتم ياعصبة الرحمة

واولياء الشفقة اين انتم ياأعلام المروة وشوامخ القوة اين انتم ياآل النجدة وغوث المضيم يوم الشدة اين انتم ياخير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اين انتم ايها الامجاد الانجاد القوامون بالقسط الاخذون بالعدل الناطقون بالحكمة المؤسسون لبناء الامة الا تنظرون من خلال قبوركم الى ما اتاه خلفكم من بعدكم وما اصاب ابناكم ومن ينتحل نحلتكم انحرفوا عن سنتكم وجاروا عن طريقكم فضلوا عن سبيلكم وتفرقوا فرقاً واشياعاً حتى اصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب اسفاً وتحترق الاكباد حزناً · اضحوا فريسة للامم الاجنبية لا يستطيعون ذوداً عن حوضهم ولا دفاعاً عن حوزتهم الا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبه الغافل ويوقظ النائم ويهدي الضال الى سواء السبيل · انا لله وانا اليه راجعون ·)

اقول وربما لا اخشى واهماً ينازعني فيما اقول انه من بداية تاريخ الاجتماع البشري الى اليوم ما وجد فاتح عظيم ولا محارب شهير نبت في اوسط الطبقات ثم رقى بهمته الى اعلى الدرجات فذللت له الصعاب وخضعت الرقاب وبلغ من بسطة الملك ما يدعوا الى العجب ويبعث الفكر لطلب السبب إلا كان معتقداً بالقضاء والقدر · سبحان الله الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة فما الذي يهون عليه اقتحام المخاطر وخوض المهالك ومصارعة المنايا إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر وركون قلبه الى ان المقدر كائن ولا اثر

لهول المظاهر

اثبتت لنا التواريخ ان كورش الفارسي (كيخسرو) وهو اول فاتح يعرف في تاريخ الاقدمين مـا تسنى له الظفر في فتوحاته الواسعة الا لانه كان معتقداً بالقضاء والقدر فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول ولا توهن عزيمته شدة وان اسكندر الاكبر اليوناني كان ممن رسخ في نفوسهم هذه العقيدة الجليلة وجنكيزخان التتري صاحب الفتوحات المشهورة كان من ارباب هذا الاعتقاد بل كان نابليون الاول بونابرت الفرنساوي من اشد الناس تمسكاً بعقيدة القضاء وهي التي كانت تدفعه بعساكره القليلة عَلَى الجماهير الكثيرة فيتهيأ له الظفر وينـال بغيته من النصر

فنعم الاعتقاد الذي يطهر النفوس الانسانية من رزيلة الجبن وهواول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله في طبقته ايا كانت نعم انا لا ننكر ان هذه العقيدة قد خالطها في نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر وربما كان هذا سبباً في رزيئتهم ببعض المصائب التي اخذتهم بهـا الحوادث في الاعصر الاخيرة ورجاونا في الراسخين من علماء العصر ان يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون وينشروا بينهم ما اثبتته ائمتنا رضي الله عنهم كالشيخ الغزالي وامثاله من ان التوكل والركون الى القضاء انمـا

طلبه الشرع منا في العمل لا في البطالة والكسل وما امرنا الله ان نهمل فروضنا ونتبذ ما اوجب علينا بحجة التوكل عليه فتلك حجة المارقين عن الدين الحائدين عن السراط المستقيم ولا يرتاب احد من اهل الدين الاسلامي في ان الدفاع عن الملة في هذه الاوقات صار من الفروض العينية على كل مومن مكلف وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقة التي تجمع كلمتهم وترد اليهم عزيمتهم وتنهض غيرتهم لاسترداد شانهم الاول الا دعوة خير من علمائهم وان جميع ذلك موكول الى ذمتهم

اما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأوه هذه العقيدة « ولا غيرها من العقائد الاسلامية » ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل اشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . نعم حدث للمسلمين بعد نشاتهم نشوة من الظفر وثمل من العز والغلب وفاجاهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنكيز خان واحفاده وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربية باسرها على ديارهم وان الصدمة في حال النشوة تذهب بالراي وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة ووسد الامر فيهم الى غير اهله وولى على امورهم من لا يحسن سياستها فكان حكامهم وامراوهم من جراثيم الفساد في اخلاقهم وطباعهم وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم وقصرت انظار الكثير منهم على ملاحظة

الجزئيات التي لا تتجاوز لذته الانية واخذ كل منهم بناصية الاخر يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب لا لعلة صحيحة ولا داع قوي وجعلوا هذا ثمرة الحياة فال الامر بهم الى الضعف والقنوط وادى الى ما صاروا اليه

ولكني اقول وحق ما اقول ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة ماخذها من قلوبهم ورسومها تلوح في اذهانهم وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم وكل ما عرض عليهم من الامراض النفسية والاعتلال العقلي فلا بد ان تدفعه قوة العقائد الحقة ويعود الامر كما بدا وينشطوا من عقالهم ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر في انقاذ بلادهم وارهاب الامم الطامعة فيهم وايقافها عند حدها

وما ذلك ببعيد والحوادث التاريخية تؤيده فانظر الى العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القوية (حروب التتر والحروب الصليبية) وساقوا الجيوش الى ارجاء العالم واتسعت لهم ميادين الفتوحات ودوخوا البلاد وارغموا انوف الملوك ودانت لسلطانهم الدول الافرنجية حتى كان السلطان العثماني يلقب بين الدول بالسلطان الاكبر

ثم ارجع البصر تجد هزة في نفوسهم وحركة في طباعهم احدثها فيهم ما توعدتهم به الحوادث الاخيرة من رداءة العاقبه وسوء المنقلب. حركة سرت في افكار ذوي البصيرة منهم في اغلب الانحاء شرقاً وغرباً وتالفت من خيارهم عصبات للحق كتبت على نفسها نصرة العدل والشرع

والسعي بغاية الجهد لبث افكارها وجمع الكلمة المفترقة وضم الاشتات المتبددة وجعلوا من اصغر اعمالهم نشر جريدة عربية لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الاجانب لهم وانا نرى عدد الجمعية الصالحة يزداد يوماً بعد يوم نسال الله تعالي نجاح اعمالها وتأييد مقصدها الحق ورجاونا من كرمه ان يترتب على حسن سعيها اثر مفيد للشرقيين عموماً وللمسين خصوصاً

رياض باشا والسياسة الانكليزية

نقل الينا وذكرت الجرائد خبر مجلس انعقد في سراي توفيق باشا بالقاهرة حضره نظار الحكومة المصرية ودعي اليه شريف باشا ورياض باشا وسلطان باشا وعمر باشا ولطفي باشا وخيري باشا وثابت باشا واغلب الجرائد الفرنساوية المهمة اتبعت رواية الخبر بالثناء على رياض باشا واتت من وصفه على افضل مايوصف به رجل في امته ومما ذكرت من صفاته انه اقوم امير في الديار المصرية واشدهم حرصاً على الاستقامة وانه ابصر اهل بلاده بعواقب الحوادث التي المت بمصر وما تؤل اليه وكان يرى من بداية تلك الحوادث ان سيكون مصيرها الى ما لا خير فيه للبلاد وسكتت تلك الجرائد عما يتعلق ببقية اعضاء المجلس واننا نذكر الخبر اولا ثم نعقبه بما تدعو خدمة الحق لذكره

بعد انعقاد المجلس قام نوبار باشا وافتتح الكلام بخطاب وجهه الى الحاضرين فقال ماذا ترون من التدبير اذا فرضنا ان مدينة خرطوم وبربر ودنكولا دخلت في حوزة محمد احمد واشياعه واي طريقة يمكن الاخذ بها لحفظ الامنية وتقرير

الراحة في مصر العليا (الصعيد) فاعجب الحاضرون بالسؤال وظهرت على وجوههم علائم الاستغراب لمفاجاته لهم بما لم يكونوا يتوقعونه ثم اجابوه بصوت واحد ان لا سبيل الى تأمين البلاد من خطر الفتنة إلا باستعمال القوة فقال نابور باشا انا نروم منكم التصريح بنوع القوة التي يجب استخدامها (اي قوة انكليزية او مصرية) فاجابه رياض باشا ان تعيين القوة من خصائصكم وليس من شأننا ان نتكلم فيه فابدع في الجواب بعض الحاضرين (لانعرفه وربما يكون من محبي اوطانهم) واحسن في التشبيه حيث قال الذي نعرفه ان العجة لاتكون بدون بيض . (العجة طعام يصنع من البيض مع بعض النباتات يعرف اسمه عند المصريين واغلب العرب فمادة هذا الطعام انما هي البيض فاراد هذ العضو المحترم انه لو اريد استخدام قوة فلا بد ان يكون جوهرها عساكر انكليزية ولا باس باضافة بعض من الجنود المصرية لتكون ترساً يدفع به في وجوه المحاربين وتنصب اليه قوتهم فان حصل العجز ودعت الضرورة للفرار امكن للجيوش الانكليزية ان تعود سالمة او اذا اضيف مصريون فلا بد ان يكونوا حمالين وخدمة او حرسا وحفظة لمن يكون معهم من ساداتهم هذا ما راد جناب العضو من تشبيهه البليغ) بعد هذا قال رياض باشا انكم تسألوننا تعيين القوة ولكني اسألكم ما هي القوة الموجودة عندكم وباي حق يؤدي لكم ٤٨٠٠٠ جنيه في كل شهر انتم حكومة ام لا . اما شريف باشا فقال انه بذل جهده مدة طويلة في ارضاء الحكومة الانكليزية بان ترسل جيشا انكليزيا الى السودان (وهذا مما يقضى بالعجب) ولكنه علم ان نوبار باشا اراد ان ينهى المسئلة باخلاء الاقطار السودانية فقال نوبار باشا ان المباحثة خرجت عن موضوعها وتحولت عن وجهها ولكني اذكر الاعضاء المجتمعين بانهم ما طلبوا إلا لابداء ارائهم فيما يجب العمل به فاجابه رياض باشا ان لكم مجلس شورى فكان احق ان تذاكروه وانا للآن لانعرف سبباً لاستدعائنا مع وجود ذلك المجلس فحاول نوبار باشا دفع ذلك بقوله ان مجلس الشورى ليس من خصائصه النظر في مثل هذه المهمات فقال رياض باشا انه لا يرجى اصلاح ما دام

العمل جارياً على ماوضعه اللورد دوفرين مما سماه نظاماً وانه لا ثقة له باصل من اصول ذلك النظام وليس في الامكان اجراء ولا واحد منها وان الاغلاط التي كانت منشأ الضعف والاختلال لم يرتكبها إلا دولة الانكليز وان ما تراه من الفوضوية وارتكاب المنكرات وكثرة التعدي والسرقات لم تكن له علة إلا السياسة الانكليزية فعلى انكلترا ان تعالج هذا الداء وليس ذلك علينا ولقد قلت هذا مراراً و بلغته للورد دوفرين وشريف باشا وكنت اود ان ارى اللورد دوفرين مرة اخرى لاذكره بما جرى من الحديث بيننا واعرض عليه مصره المنتظمة ٠ الا ان شريف باشا اتى بما لم يكن يرجى منه حيث دافع عن نظام دوفرين بقوله ان الاصلاح يحصل تدريجاً كانه يريد بما يقول ان ماحوته شريعة اللورد دوفرين يصلح ان يكون شريعة يعود من العمل بها على اهالي القطر المصري شي من الفائدة وما كنا نظن ان مثل شريف باشا يرى مثل هذا الرأي بعد وصول الامر الى ما وصل اليه ٠ بعد هذا قال رياض باشا اني لاافهم لفظ برتكتورا (حماية) ولا اعلم ماذا يراد منه ولكني لارى وسطا بين امرين اما ضم البلاد الى الحكومة الانكليزية فتستلم انكلترا ادارة امورها وتتولى شؤنها كلية كانت او جزئية وهذا هو الذي افهمه من تلك العبارات واما ترك البلاد لاهلها فيأخذ بزمام السلطة فيها رجال من اهاليها واليهم الحل والعقد في ادارتها فانتحلوا مذهبا من المذهبين فان القول بوسط بينهما ضرب من الجنون اه ٠

وليس بعجيب ان يصدر مثل هذا الكلام من رياض باشا فعهدنا به رجل ذو حياة وطنية واحساس بما يلزم لحفظ حياته هذه وهي اشرف انواع الحيات فان تكلم فانما ينثر الكلام منه ارادة ناشئة عن فكر تثيره قوة حيوية وكان املنا ان يوجد من طرازه كثير في الاقطار المصرية يصدعون بما يصدع به خصوصاً بعد مانازلتهم هذه الحوادث المريعة ومثلت لهم مستقبل بلادهم في مرآة حاضرها ولقد ادى الرجل حقاً واجباً عليه والقائم باداء الفريضة قد يشكر اذا اهملها المكلفون بها حتى صارت عندهم من نوافل الاعمال او في منابذ المكاره ولكن

يأخذنا العجب من بقية اعضاء هذا المجلس الموقر كيف مجمجوا او تلكاوا اوسكتوا وكيف وسعتهم القدرة عَلَى امساك السنتهم عن التعبير بما في ضمائرهم . انا لانعلم احدا منهم تجنس بالجنسية الانكليزية وحاشا جميعهم من ذلك ولا يخلج في صدورنا ان مصريا او تركيا او شرقيا ايا كان يميل ميلا صادقا الى تسلط الامم الاجنبية عَلَى بلاده او يخلص في خدمة الانكليز ومجاراة رغائبهم اخلاصا صحيحا خصوصا اولئك الامراء المصرح باسمائهم بل لو كشف الحجاب عن قلب كل واحد منهم لرينا ذائبا من الاسف في ماحل ببلاده وفانيا من الحزن عَلَى مانزل بوطنه من تردد جيوش الاجانب بين اطرافه ومضمحلا من الكدر عَلَى ماعقبه حلول القوة الاجنبية من انقباض الانفس وانقطاع الآمال وعموم الاختلال وشمول الفقر والفاقة وبطلان حركة الاعمال بل لو شاء القلم ان يعبر عن حالة الامير منهم عند مايطرق اذانه اخبار التصرف الانكليزي في ادارات حكومته وكف ايدي الموظفين من ابناء ملته عن اداء مايجب عليهم لبلادهم وبسطة ايدي اولئك الاجانب في الانفاق من ماله ومال عياله واقاربه واحبائه وجميع مواطنيه بدون حق شرعي ولا مصلحة وطنية او عند مايرى غنيا اعدم وعزيزا ذل وكاسيا عرى وحيا اشرف عَلَى الهلاك من ضغط المظالم ولو نهضت قوة البيان لشرح مايظهر عَلَى وجهه من الوان الكمودة وفي اعضائه من انواع الرعدة وما ينبض به قلبه وما يحدثه فكره من هواجس الهموم وخواطر الغموم لما استطاع القلم تعبيرا ولو قفت قوة البيان دون الاتيان عَلَى قليل من كثير . هذا هوالذي لايبراء منه احد منهم ولو اقام عَلَى البراة الف برهان كيف لا وهم يعلمون ان عزتهم وسيادتهم ومابلغوا من مراتب الشرف والرفعة انما كان بوصف قيامهم عَلَى اعمال البلاد واهليتهم لاستلام مهامها واستعدادهم لادارة شؤن الرعية وهم عَلَى يقين بانه لو ساد في ديارهم اجنبي فلا داعي يبعثه الى حفظ مالهم من الشرف والسيادة بل له من البواعث القوية مايحمله عَلَى تذليلهم واهباطهم الى احط المنازل ليخلفهم عَلَى مثل ما كانوا عليه اوعلى . فما الذي امسك بالسنتهم

عن الكلام هل الخوف فمن اي شي يخافون وما الذي يخشونه عَلَى ارواحهم او عَلَى بلادهم اذا قالوا حقاً وثبتوا عليه . ماذا يصنع بهم الانكليز اذا علموا صدقهم في محبة اوطانهم واتفاق كلمتهم عَلَى الرغبة في انقاذها هل علموا من عدل الانكليز انهم يوأخذون الناس عَلَى ابداء ارائهم اذا دعوا الى المشورة . ان كان هذا فما يبتغون من الحياة . هل ظنوا ان الانكليز اذا احسوا باتفاق في الآراء عَلَى مصلحة من مصالح البلاد وان كانت في خروجهم من مصر يستطيعون تحت اعين اوربا ان يوصلوا ضرراً الى المتفقين وهم امراء البلاد واعيانها . ان رياض باشا وحده لم يخش من اظهار فكره فماذا كان يضر الامراء الوطنيين لو عززوه او كانفوه عَلَى مثل رأيه . قد علم العقلاء من كل امة ان اشباه هذه الحوادث تكون سبباً في اجتماع الكلمة واتحاد الرأي عَلَى مصادمتها وما نراه اليوم من سعادة الامم العظيمة انما كان منشاؤه ملات الشقا التي انستهم الضغائن والاحقاد وحملتهم عَلَى ترك المنافرات الخصوصية واخذ كل بيد اخيه لدفع مايخشى منه على بناء الامة ان ينصدع واساس الملة ان ينقلع وما سمعنا من امة اتفقت فخابت ولا ملة افترقت فنجحت .

الا يعلم امراؤنا ان اوربا واقفة بالمرصاد لانكلترا تترقب لها الزلل وتتمنى لها الغلط وان جميع الامم في الممالك الاوربية مصغية لكلمة يتفق عليها وجهاء المصريين وهي انا قادرون عَلَى اصلاح شؤوننا ولا نريد قوة اجنبية تحل في ديارنا . امتدت اعناق السياسيين في اوربا وانحنت الى المصريين ليسمعوا منهم كلمة حتى كلت رقابهم والتوت اعصابها والمصريون يشحون بها عليهم . ماذا ينتظر الامراء المصريون في قول الحق ان الامم لا تطلب منهم اشهار السلاح ولا بذل الارواح ولكن تطلب منهم قولاً صريحاً لا يجاب اليهم ضرراً ولا يقرب منهم خطراً لا حول ولا قوة الا بالله

السودان

قدمنا في العدد الماضي ان مدينة بربر في حالة يخشى عليها من السقوط في ايدي الثائرين وجات اخبار هذا الاسبوع بان حاكم المدينة بعد الحاح طويل عَلَى الحكومة المصرية في ارسال نجدة عسكرية اليه لم يحز طلبه قبولاً فان الوزارة الانكليزية لم تر ذلك صوابا وبناء عَلَى ما راته الحكومة الانكليزية صدرت الاوامر الى الحاكم (حسن باشا خليفة) ان يخلي المدينة بما يمكنه من السرعة فشرع في اخلائها متقهقراً بالحامية جهة الشمال الى كوروسكو وبعث بفرقة من عساكره عددها مائة وخمسون رجلا لتسبقه الى حيث ينتهي في رجعته وبعد ايام يرسل ما بقي منها طبق الاوامر التي وردت اليه وفي الظن ان اخلاء المدينة لا يتم بدون كفاح وقتال وسفك دماء ومع هذا كله فمن امل الحاكم ان يتم له انقاذ الحامية جميعها وارسالها الى كوروسكو قبل وصول رسل محمد احمد . تحقق ان اربع فرق من العساكر الغير المنتظمة (باشبزوق) مع خمسمائة عسكري مصري (كلهم من حامية بربر) انحازوا الى اشياع محمد احمد ويخشي ان الثائرين بعد استيلائهم عَلَى بربر يحاصرون جملة مدن كبيرة في وقت قريب .

قالت جريدة التمس الانكليزية ثارت جميع القبائل واهالي البلاد فيما وراء بربر ولا يمكن ان يوجد رسل يجراون عَلَى المسير الى خرطوم لتوصيل المراسلات وان عرض عليهم من النقود اعلى ما يمكن من المبالغ وقالت تلك الجريدة ان الاخبار الاخيرة الواردة من مصر توكد لنا ان قلوب الاهالي (المصريين) طافحة من الغيظ والحنق عَلَى الانكليز وانه لا يوجد في مصر من يحب ان يري انكليزياً يخطر في بلاده (هذا الذي قلناه مراراً فالحمد لله اقر الخصم وارتفع النزاع) ثم اتبعت كلامها هذا بانه لا يوجد في مصر الان شيء يصح ان يخبر عنه سوى اختلال او اضطراب فما عليه مصر اليوم يمكن ان يعبر عنه بهاتين اللفظتين وان المخابرات مع خرطوم اصبحت من قبيل المستحيلات ثم قالت نعم ان الحكومة الانكليزية صرحت بانه لا يمكنها ارسال عساكر الى السودان قبل مضي اربعة

اشهر ولكن عليها ان تنظر في واسطة اخرى لازالة ما جلبته عَلَى مصر من الفوضى

انجح الوسائط ترك البلاد لاهلها وتفويض الامر فيها لصاحب الحق القانوني عَلَى تلك البلاد ومن له المنزلة العليا في قلوب جميع الاهالي فتسكن له القلوب وتخمد نيران الفتن ولعل التمس بعد ايام قلائل ترجع الى موافقتنا عَلَى هذا الرأي كما وافقنا عَلَى تأكيد بغض المصريين للانكليز وقد تنكره علينا من خمسة وعشرين يوما وتبالغ في ميل الاهالي لسيادة انكلترا عليهم

ذكرت الجرائد ان جاسوسا وقف عَلَى عزيمة عثمان دجمة في جهة سواكن فجاء واخبر بانه مستعد ان يزحف بالفي رجل الى هندوب لقطع الطريق وانه بعد ذلك لا يقف دون الهجوم عَلَى حدود سواكن بشدة عنيفة

ذكر في جريدة التان ان دخول الثائرين في مدينة بربر وان لم يتحقق الان بطريقة رسمية الاَّ ان ما اخبر به وكيل انكلترا السياسي في تلك المدينة يقطع كل ريب ويزيل كل شك في ان الخطر نازل بها لا محالة فان قسما من حاميتها فر لطلب النجاة والباقي انضموا الى صفوف الثائرين جهرة وانا نرى حلول اشياع محمد احمد بمدينة بربر يهيء لهم ان يطئوا قلب مصر العليا وليتهم يكتفون بهذا ولكن ستطمح انظارهم الى مصر السفلى · ان ضباط الحامية المصرية في اصوان وردت اليهم مكاتيب من احد زعماء الثورة بناء عَلَى امر محمد احمد ينذرهم فيها بسوء العاقبة ويتوعدهم بالقتل والذبح ان لم يتركوا المدينة قبل عشرة ايام ثم قالت تلك الجريدة اذا اجتمعت قوة محمد احمد عند الشلالة الاولى فلا بد حينئذٍ ان ينظر في كيفية الدفاع عن القاهرة ·

هذا الذي كنا نتوقعه ونخشاه من قبل واشرنا اليه مرارًا جاشه الحوادث ونطقت به الجرائد الفرنساوية والانكليزية ولم يبق الا التفات تلك الجرائد الى دواء هذه العلة وعلاج هذا الداء الذي كاد يكون عضالا وتنبه حكوماتها للنظر في ذلك بعين الدقة والتبصر وترشدها الى ان العلاج الذي ليس وراءه علاج انما هو تسليم الامر لذوي الحق فيه والعارفين بطرق تصريفه من المسلمين وسنراها بعد ايام تتبع هذا السبيل المستقيم

باريس

يوم الخميس في ١٨ رجب سنة ١٣٠١ و ١٥ مايو سنة ١٨٨٤

دخل الانكليز مصر فزعموا ان ما كان موجودا من الجند الاهلي نفخت فيه روح العصيان فلا يصلح للاعمال العسكرية فطردوه ثم اختاروا من الاهالي جنداً جديداً في عدد قليل واستلم الرئاسة عليه ضباطهم البارعون وبعد اشهر اثنوا عليه بحسن النظام وسرعة النجاح وطنطنت بالاطراء عليه جرائدهم ولم نلبث بعد هذا ان رأيناهم يسارعون الى طرد الجند الجديد فهموا بذلك مراراً مع العزم على عدم استبداله باخر من ابناء الوطن وكلما صدتهم بعض الموانع السياسية عن هم مهم كتموا امرهم زمنا ثم عادوا للاشارة اليه تعللا بما ينسبونه الى بعض العساكر وهو من دسائسهم وآخر الامر خفتت اصواتهم واحسوا بعجزهم عن الاستبداد بطرد الحامية الوطنية وعلموا ان لابد فيه من مشورة الدول .

في هذه الايام رغبوا الى الدول في عقد مؤتمر للنظر في قانون التصفية وتحويره ووضع نظام للمالية المصرية يخفف عنها بعض اثقالها فصرحوا في لائحتهم المرسلة الى حكومات اوربا بضرورة طرد الجند الوطني رعاية للاقتصاد وبلزوم تخفيض فائدة الديون المصرية .

ان الانكليز من ست سنوات جعلوا بعض الضيق في المالية المصرية ذريعة للانقلاب العظيم الذي حصل في مصر والزموا الدولة العثمانية بمجاراتهم في ذاك الانقلاب ودافعوا عن الدائنين وزعموا من المحال تنقيص شي من الفوائد وطلبوا من الحكومة المصرية اذ ذاك تقليل عدد حاميتها ليتوفر من النقود مايصرف لحقوق الدائنين واليوم عطفوا عَلَى المصريين (عطفة الاب الرحيم) وبسطوا ايديهم الى الدول يلتمسون مساعدتها لتخفيف الفائدة مع محو حاميتهم الوطنية . اليست البلاد المصرية كسائر بلاد العالم تحتاج الى حامية تحفظ حدودها من الخارج وتصون داخلها من الغوائل التي لايأمن طروقها حكومة من الحكومات . ان في تلك القسوة الاولى والمرحمة الثانية لسراً عظيماً

للانكليز في مصر مطامع من زمن قديم يعدون سلطتهم عليها من ضروريات شوكتهم في الهند وفي خلدهم ان المصريين لو كانت لهم ثروة مالية وقوة عسكرية عظيمة فانهم يمانعونهم فيما يريدون ببلادهم فضيقوا عَلَى المالية في تلك الاوقات والجاوا الحكومة لتمزيق قوتها العسكرية ليحصل الضعف في القوتين المالية والجندية فتمهد لهم طريق ماطمحوا اليه وكان هذا التدبير سبباً في الانقلات الذي تبعته هذه الحوادث الهائلة و بعد مافتح لهم بضعف الحكومة سبيل المداخلة في مصر طفقوا يسعون بما جبلوا عليه من الهوينا في المضي الى مقاصدهم لايجاد عنوان غير التملك يعنون به اقامت عساكرهم ومأموريهم في تلك

البلاد زمناً طويلا و يكون وضع ذلك العنوان برأي الدول تملصاً من الوعد الذي وعدوها به مع ترقب حوادث السياسة في اوربا لعل حادثة منها تساعدهم على ابدال العنوان بما هو المطلوب لهم وراوا من احسن الوسائل لدعوة الدول اليهم عرض المسئلة المالية

ولما كان من المحتوم في ارائهم بقاء عساكرهم في الديار المصرية فلا بد من طلب وسيلة لطرد الجند المصري حتى تكون الحاجة الى عساكرهم قائمة هذه طريقة ربما خفيت على المصريين وغفل عنها كثير من الاوربيين إلا انها من الطرق المتعارفة عند الانكليز وهي التي سلكوها في البلاد الهندية ونالوا بسلوكها السلطة المطلقة على تلك الاقطار الواسعة بدون سفك دماء غزيرة ولا مقاومة فتن شديدة . دمر الانكليز (دخلوا بلا استئذان) على الهنديين في اراضيهم وانبثوا بينهم فتمكنوا من تفريق كلمة الامراء واغراء كل نواب اوراجا بالاستقلال والانفصال عن السلطنة التيمورية فتمزقت المملكة الى ممالك صغيرة ثم اغروا كل امير باخر يطلب قهره والتغلب على ملكه فصارت الاراضي الهندية الواسعة ميادين للقتال واضطر كل نواب اوراجا الى النقود والجنود ليدافع بها عن حقه او يتغلب بها على عدوه فعند ذلك تقدم الانكليز بسعة الصدر وانبساط النفس ومدوا ايديهم لمساعدة كل من المتنازعين و بسطوا لهم احدى الراحتين ببدر الذهب وقبضوا بالاخرى على سيف الغلب . بداوا قبل كل عمل بتنفير اولئك

الملوك الصغار من عساكرهم الاهلية ورموها بالضعف والجبن والخيانة والاختلال ثم اخذوا في تعظيم شان جيوشهم الانكليزية وقوادها وما هم عليه من القوة والبسالة والنظام حتى اقتنع كل نواب اوراجا بان لا ناصر له عَلَى مغالبه إلا بالجنود الانكليزية فاقبل الانكليز على اولئك السذج يضمنون لكل صيانة ملكه وفوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الانكليز ويكون بعض الجنود من الهنديين وبعضها من البريطانيين وما عَلَى الحاكم إلا ان يؤدي نفقتها ثم خلبوا عقول اولئك الامراء بدهائهم وبهرجة وعودهم ولين مقالهم حتى ارضوهم بان يكون عَلَى القرب من عاصمة كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شر بعضهم عن بعض وصار الانكليز بذلك اولياء المتباغضين وسموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التي اعدوها للحماية عنها ففرقة سموها (عمرية) واخرى سموها جعفرية وغيرها سموها (كشتية) ارضاء لاهل السنة والشيعة والوثنيين

ولما فرغت خزائن الحكام وقصرت بهم الثروة عن ادآء النفقات العسكرية فتح الانكليز خزائنهم وتساهلوا مع اولئك الحكام في القرض واظهروا غاية السماحة فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة وبعضهم بدون فائدة وينتظرون به الميسرة حتى ظن كل امير ان الله قد امده باعوان من السماء وبعد مضي زمان كانوا يومئون الى طلب ديونهم بغاية الرفق ويشيرون الى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف فاذا عجز الامير

عن الاداء قالوا انا نعلم ان وفاء الديون والقيام بنفقات الجنود يصعب عليكم ونحن ننصحكم ان تفوضوا الينا العمل في قطعة كذا من الارض نستغلها ونستوفي منها ديوننا وننفق من غلاتها عَلَى الجيوش التي اقمناها لكم ثم الارض ارضكم نردها اليكم عند الاستيفاء والاستغناء وانما نحن خادمون لكم فيضعون ايديهم عَلَى غضروات الاراضي وفيجائها وفي اثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعاً حصينة وحصوناً منيعة كما يفعلون ذلك في ثكن (اماكن اقامة العساكر)العساكرهم عَلَى ابواب العواصم الهندية · وفي خلال هذا يفتحون للامراء ابواباً من الاسراف والتبذير ويقرضونهم و يقتضون قرضهم بالقيام على اراضٍ اخرى يضمونها الى الاولى ثم يحضون نار العداوة بين الحكام لتنتشب بينهم حروب فيتداخلون في امر الصلح فيجبرون احد المتحاربين عَلَى التنازل للاخر عن جزء من املاكه ليتنازل لهم الثاني عن قطعة من اراضيه وهم في جميع اعمالهم موسومون بالخادم الصادق والناصح الامين لكل من المتغالبين· وبعد هذا فلهم شؤن لا يهملونها في ايقاع الشقاق بين سائر الاهالي لتضعف قوة الوحدة الداخلية ويخرب بعضهم بيوت بعض حتى اذا بلغ السيل نهايته واضمحلت جميع القوى من الحاكم والمحكوم وغلت الايدي فلا يستطيع احد حراكاً ساقوا الحاكم الى المجزرة بسيوف تلك العساكر التي كانت حامية له واقية لبلاده وكانت تشحذ لجز عنقه من سنين طويلة وينفق على صقالها من ماله ثم خلفوه عَلَى ملكه وكانوا يميلون

بقوتهم الى احد اعضاء العائلة المالكة ليطلب الملك فيخلعون المالك ويولون الطالب على شريطة ان يقطعهم ارضاً او يمنحهم امتيازاً فيحولون الملك من الاب للابن ومن الاخ لاخيه ومن العم لابن اخيه وفي الكل هم الرابحون . هذا سيرهم في الهند وهو على بعد من مراقبة اوربا . ما فاجاؤا احداً بحرب وما اختطفوا ملكاً بقوة مغالبة بل ما اعلنوا سيادتهم على مملكة صغيرة ولا كبيرة إلا بعد ما ايقنوا ان لا قوة لحاكمها ولا اهاليها ولا بما تطرف به اجفانهم

اولئك الانكليز باقعة العالم واحبال الحيل يريدون اليوم طرد العساكر المصرية وارض مصر لا تحرسها الملائكة فلا تستغني عن حامية فان تم ما ارادوا زينوا لبعض ذوي السلطة في مصر ان يطلب منهم جنداً انكليزياً يكون خادماً له وحافظاً لملكه فان لم يقبل داروا بحيلتهم تحت استار التمويه على كل من له حق في الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه حتى يعثروا بمن يقبل نصحهم او غشهم ذهولاً عن حقيقة القصد فيقيمونه حاكماً خلفاً لمن لم تسمح ذمته بالقبول وتكون رغبة المغرور حجة لهم عند اوربا . هذا سر انقلاب الانكليز على الجند الوطني وقدحهم في سيرته بعد الثناء على حسن استعداده وسعيهم الى طرده بالادلة الواهية والعلل الواهنة

اما المؤتمر فالداعي اليه ان العدوان في هذه الازمان لا ياتيه المعتدون كما كان في الاحقاب الخالية مشوه الوجه منكر الصورة يعرفه

الذكي والغبي بل من اراد عدواناً فلا بدان يحفه بمواكب من الادلة وحفال (جمع» من البراهين وهو ما يعبرون عنه بالحقوق والمصالح وما اصعب الوقوف على كنه العدوان وهو في هذه الحيلة وتلك الهيئة الجميلة

يريد الانكليز عقد المؤتمر ويرغبون قصر المداولة فيه على المسألة المالية ليضمنوا ديون القطر المصري ويكفلوا للدائنين اداء حقوقهم ويأخذوا على انفسهم عهدة الانفاق على الادارات المصرية مدة من الزمان لترخص لهم الدول الاقامة في وادي النيل الى امد فيكون تفويض الدول حجة لهم في التصرف وادارة شؤن الحكومة المصرية ما دام السلم مظلاً بلاد اوربا فاذا حدث حادث حرب في الدول الاوربية وما هو ببعيد الوقوع تربعوا في تلك البلاد واناخوا بكلاكلهم وضربوا بجرانهم على اراضيها والقوا عصاهم . هذا سر شفقة الانكليز على المصريين وهو سر رغبتهم في وقوف المؤتمر عند شؤن المالية

هذه المصيبة العظمى والداهية الدهماء التي تتحفز لتنقض على المصريين هل تمس بحفيفها جانب المانيا كلا . فان منافع المانيا الحقيقية لا تعلق لها بالمسائل المصرية وهي في الشغل بما هو اهم منها وليست دولة اوستريا باقرب الى المصائب المصرية من المانيا على ان كلاً من الدولتين ليس في استطاعتها تأييد فكرها بالعمل لو مست الحوادث المصرية شيئاً من مصالحها فان مواقع الدولتين لا تساعدها على الاضرار بدولة الانكليز . اما ايطاليا فهي ساكنة الجاش بما تؤمل نواله في افريقيا

بمساعدة انكلترا . نعم لهذا السيل الجارف تدفق على بيت محمد علي باشا فيخشى على اركان ذلك البيت لو لم يتدارك امره

اما الدولة العثمانية فلو حولنا النظر عن حقوقها الثابتة في الاراضي المصرية من وجوه كثيرة فليس يخفى علينا ان الولاية عَلَى تلك الاراضي هي الركن الاعظم للسلطة العثمانية في سوريا وقسم عظيم مما يتصل بها من اسيا الصغرى وفي الحجاز واليمن فمن الفروض عَلَى العثمانيين ان يبذلوا وسعهم لصيانة مصر دفاعاً عن حقوقهم المقرره وحفظا لشوكتهم في معظم ممالكهم ولا يسوغ لهم شرائع الملك ان يفرطوا في المسئلة المصرية لا في جزئي منها ولا كلي فان مصر عقدة تتصل بها اطراف السلطة العثمانية فاذا انحلت فقد انحلت « والعياذ بالله » سائر العقد .

ليس لعثماني ان يتوسد وسادة السياسة البسمار كية الناعمة فان الحاجات الطبيعية والدواعي الجوهرية هي الحاكمة عَلَى الامم ولا اعتبار في السياسة بالاطوار العارضة ربما يهم بسمارك ان يشتري بمصلحة العثمانيين وداد الانكليز لتأييد سياسته وترك فرنسا منفردة بلا حليف وله ان يلقي بمصلحة العثمانيين في ايدي الروس اذا مست الحاجة ليدفع عن نفسه شراً يتوقعه وليس لبسمارك ادنى غاية في الاتصال بالعثمانيين إلا بهذا المقدار . يفدي بهم منفعة من منافعه ومن نظر الى احوال الامم بما تقتضيه طبائعها حكم بذلك حكماً قاطعاً .

نعم من الدول دولة فرنسا كانت لها مزايا في ارض مصر اشرفت

عَلى الزوال وليس بالسهل عليها ضياعها ولها املاك واسعة فيما وراء البحر الاحمر ولا تصان سلطتها عَلَى تلك الاملاك اذا نشبت اظافر الانكليز في احشاء مصر باي اسم كان وتحت اي عنوان فاصول السياسة الفرنساوية لا تسمح للفرنساويين بالتساهل في المسائل المصرية · ودولة الروس تسابق دولة انكلترا في النصر والغلب بشرقي اسيا وتنافس الالمان في القوة باوربا ولها مع المانيا مزاحمات خفية ثابته في عناصر الامتين لا يزيلها هذا التألف الظاهري فقد يكون من احكام سياستها الانضمام الى دولة فرنسا لمضايقة انكلترا في البلاد المصرية بل النظر في طبيعة حال الامتين يقضي بلزوم اتحادهما في المشاكل الاوربية ايضا وربما تكون هذه المسئلة بداية الارتباط بين هاتين الدولتين ·

ولعل هذه الفرصة لا تفوت العثمانيين ولا تحجبهم الحوادث الماضية عن ادراك هاته النكتة وهي ان الروسيين هم اشد الناس حاجة الى الاتحاد مع الدولة العثمانية في هذه الاوقات لما فتح لهم من ابواب المغنم في اسيا ويرون الالفة مع العثمانيين اعظم عضد لهم في نيل مطامحهم بتلك الاقطار بما للسلطان من المنزلة العليا في قلوب مسلميها ولا تأخذ العثمانيين رجفة من ارعاد الانكليز وابراقهم فليس لهم سلاح يشهرونه على الدولة العثمانية سوى الترهيب ومن المحال ان يفاتحوها بحرب والا تقلصت سلطتهم عن البلاد المشرقية باسرها فاذا ثبتت الدولة في مطالبها واشتدت في ارجاع حقوقها لجا الانكليز للخضوع والاستكانة

اليها وهذا من البديهيات الجلية عند كل من وقف على احوال الانكليز في الهند وعلى مكانة السلطان العثماني في قلوب الهنديين عموماً والحكم لله يفعل مايشاء ٠

العروة الوثقى

لايظن احد من الناس ان جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر احيانا ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في اوطانهم ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركهم في المنافع من اجيال طويلة فليس هذا من شأننا ولا مما نميل اليه ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الاجانب عليهم والافساد في بلادهم وقد نخص المسلمين بالخطاب لانهم العنصر الغالب في الاقطار التي غدر بها الاجنبيون واذلوا اهلها اجمعين واستأثروا بجميع خيراتها وسنكتب مقالة مفردة في هذا الباب ان شاء الله ٠

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين

قالوا للانسان كمال مفروض عليه ان يسعى اليه وقالوا انه عرضة لنقص يجب عليه الترفع عنه وقالوا كماله في استيفاء مايمكن من الفضائل

ونقصه في التلوث برزيلة من الرزائل · فما هي الفضائل وما هي الرزائل الفضائل مجايا للنفس من مقتضاها التاليف والتوفيق بين المتصفين بها كالسخاء والعفة والحياء ونحوها فالسخيان لايتشاحان ولا يتنازعان في التعامل فان من سجية كل منهما البذل في الحق والمنع اذا اقتضاه الحق فكل يعرف حده فيقف عنده فلا يوجد موضوع للنزاع عند معاطات الاعمال المالية والاعفاء لايتزاحمون على مشتهي من المشتهيات فان من خلق كل منهم التجافي عن الشهوة وفي طبيعته الايثار بالرغائب وهكذا اذا استقريت جميع ماعده علماء التهذيب من الصفات الفاضلة تجد ان من لوازم كل فضيله منها التأليف بين المتصفين بها في متعلق الاثر الناشي عن تلك الفضيلة فاذا اجتمعت الفضائل او غلبت في شخصين مالت نفوسهما الى الاتحاد والالتئام في جميع الاعمال والمقاصد او جلها ودامت الوحدة بينهما بمقدار رسوخ الفضيلة فيهما وعلى هذا النحو يكون الامر في الاشخاص الكثيرة فالفضائل هي مناط الوحدة بين الهيئة الاجتماعيـــة وعروة الاتحاد بين الاحاد تميل بكل منهما الى الاخر وتجذب الاخر الى من يشاكله حتى يكون الجمهور من الناس كواحد منهم تتحرك بارادة واحدة ويطلب في حركته غاية واحده مجموع الفضائل هو العدل في جميع الاعمال فاذا شمل طائفة من نوع الانسان وقف بكل من احادها عند حد في عمله لا يتجاوزه بما يمس حقاً للاخر فيه يكون التكافوء والتوازر · لكل شخص من افراد الانسان وجود

خاص به واودعت فيه العناية الالهية من القوى مـا به يحفظ وجوده وما به التناسل لبقاء النوع وهو في هذا يساوي سائر افراد الحيوان لكن قضت حكمـة الله ان يكون الانسان ممتازاً عن بقية الانواع الحيوانية بكون اخر ووجود ارقى واعلَى وهو كون الاجتماع حتى يتألف من افراده الكثيرة بنية واحدة يعمها اسم واحد والافراد فيها كاعضاء تختلف في الوظائف والاشكال وانما كل يؤدى عمله لبقاء البنية الجامعة وتقويتها وتوفير حظها من الوجود ليعود اليه نصيب من عملها الكلي كما اودع الله في اعضاء ابداننا وبنيتنا الشخصية . والفضائل في المجتمع الانساني كقوة الحياة المستكمله في كل عضو ما يقدره عَلَى اداء عمله مع الوقوف عند حد وظيفته كاليد بها البطش والتناول وليس من خصائصها الابصار والعين بها الابصار وتمييز الالوان والاشكال وليس من وظائفها البطش والكل حي بحياة واحدة وان شئت قلت الفضائل في عالم الانسان كالجذبة العامة في العالم الكبير فكما ان الجذبة العامة يحفظ بها نظام الكواكب والسيارات وبالتوازن في الجاذبية ثبت كل كوكب في مركزه وحفظت النسبة بينه وبين الكوكب الاخر وانتظم بها سيره في مداره الخاص بتقدير العزيز العليم حتى تمت حكمة الله في وجود الاكوان وبقائها . كذلك شان الفضائل في الاجتماع الانساني بها يحفظ الله الوجود الشخصي الى الاجل المحدود ويثبت البقاء النوعي الى ان ياتي امر الله

اي امة يكون الواضع فيها والرافع والحارس والوازع والجالب والدافع وجميع من يدبر امورها ويسوسها في شؤنها انما هم افراد منها من هاماتها او من لهازمها « من الاعلياء والاوساط بل سائر الاطراف » ويكون كل واحد منها قائماً بحق ولا يختار مقصداً يعاكس مقصد الكل ولا يسعى الى غاية تميل به عن غاية الكل ولا يهمل عملاً يتعلق بالامة حتى يكون الجميع كالبنيان المتين لا تزعزعه العواصف ولا تدكه الزلازل وبقوة كل منهم يجتمع للامة قوه تحفظ بها موقعها وتدفع بها عن شرفها ومجدهـا وترد غارة الاغيار عليها فهي الامة التي سادت فيها الفضائل واستعلت فيها مكارم الاخلاق

ان امة هذا شانها لا يتخالف افرادها إلا للتالف ولا يتغايرون الا للاتحاد فمثلهم في اختلاف اعمالهم كمثل المتدابرين عَلَى محيط دائرة يتفارقان في مبدا المسير ليتلاقيا على نقطة من المحيط ومثالهم في تغاير ماخذهم لجلب منافعهم كجاذبي طرفي خيطة واحدة (حبل واحد) كل اخذ بطرف مع تعادل القوتين ففي جذب احدهما لصاحبه ابعاد لنفسه عنه من وجه وحفظ لمكان قربه منه من وجه اخر فلا يفترقان ولا يتباينان ولا تفني منفعة احدهما في منفعة الاخر . اما ان مسالك الافراد من مثل هذه الامة بما منحوه من الارتباط بينهم تكون كانصاف دائرة مركزها حياة الامة وعظمتها ولا يخرج ولا واحد منهم عن محيط الجنسية وانهم في جلب منافعها واستكمال فوائدها كالجداول تمد البحر لتستمد منه

يرى كل واحد منهم ان ما تبتهج به النفوس البشرية وتمتاز بالميل اليه عن سائر الحيوانات من رفعة المكانة والغلب وبسطة الجاه ونفاذ الكلمة انما يمكن نواله اذا توفر للامة حظها من هذه المزايا فيسعى جهده لابلاغ كل واحد من الامة اقصى ما يوهله استعداده ليأخذ بسهم مما يناله فلا يهمل ولا يخون في الدفاع عن فرد من افرادها فضلاً عن هيئتها العامة وإلا فقد خان نفسه لانه ابطل آلة من آلات عمله وقطع سبباً من اسباب غايته ولا يحتقر واحداً من الآحاد ولا يزدري بعمله ويحسب الشخص من الامة وان كان صغيراً بمنزلة مسمار صغير في آلة كبيرة لو سقط منها تعطلت الالة بسقوطه

عليك ان تنظر في حقائق هذه الصفات الفاضلة لتحكم بما ينشأ عنها من الاثر الذي بيناه · التعقل والتروي وانطلاق الفكر من قيود الاوهام والعفة والسخاء والقناعة والدماثة «لين الجانب» والوقار والتواضع وعظم الهمة والصبر والحلم والشجاعة والايثار «تقديم الغير بالمنفعة على النفس» والنجدة والسماحة والصدق والوفاء والامانة وسلامة الصدر من الحقد والحسد والعفو والرفق والمروءة والحمية وحب العدالة والشفقة اترى لو عمت هذه الصفات الجليلة امة من الامم اوغلبت في افرادها يكون بينها سوى الاتحاد والالتئام التام هل يوجد مثار للخلاف والتنافر بين عاقلين حرين صادقين وفيين كريمين شجاعين رفيقين صابرين حليمين متواضعين وقورين عفيفين رحيمين · اما والله لو نفخت نسمة

من ارواح هذه الفضائل عَلَى ارض قوم و كانت مواتا لاحيتها او قفر لانبتتها او جدبا لامطرتها من غيث الرحمة ما يسبغ نعمة الله عليها ولا قامت لها من الوحدة سياجا لايخرق وحرزاً منيعاً لايهتك وان اولى الامم بان تبلغ الكمال في هذه السجايا الشريفة امة قال نبيهم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق. الفضيلة حياة الامم تصون اجسامها عن تداخل العناصر الغريبة وتحفظها من الانحلال المؤدي الى الزوال ما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

اما الرزائل فهي كيفيات خبيثة تعرض للانفس من طبيعتها التحليل والتفريق بين النفوس المتكيفة بها كالقحة « قلة الحياء » والبذاء «التطاول عَلَى الاعراض بما لا تقتضيه الحشمة والادب من الكلام » والسفه والبله والطيش والتهور والجبن والدناءة والجزع والحقد والحسد والكبرياء والعجب واللجاج والسخرية والغدر والخيانة والكذب والنفاق فاي صفة من هذه الصفات تلوث بها نفسان القت بينهما العداوة والبغضاء وذهبت بهما مذاهب الخلاف الى حيث لا يبقى امل في الوفاق فان طبيعة كل واحدة منها اما مجاوزة الحدود في التعدي عَلَى الحقوق واما السقوط الى ما لا يمكن معه للشخص اداء الواجب عليه لمن يشاركه في الجنسية او الملية او القبيلة او العشيرة او باي نوع من انواع التعامل والانسان مجبول بالطبع عَلَى النفرة ممن يتعدى عَلَى حقوقه او يمنعه حقاً منها وان شئت فتخيل وقيين بذيين سفيهين جبانين بخيلين « كل يمنع

الاخر حقه » شرهين حاقدين حاسدين متكبرين « كل لايستحسن إلا فعل نفسه » لجوجين خائنين غادرين كاذبين منافقين هل يمكن ان يجمعهما مقصدا وتوحد بينهما غاية اليس كل وصف على حدته قاضياً بانتباذ كل من صاحبه وان لم تكن داعية وكفى بخلقه وصفته باعثاً قوياً للتنابذ ٠

هذه الرزائل اذا فشت في امة نقضت بناها ونثرت اعضائها ٠ بدءتها شذر مذر واستدعت بعد ذلك طبيعة الوجود الاجتماعي ان تسطو عَلَى هذه الامة قوة اجنبية عنها لتاخذها بالقهر وتصرفها في اعمال الحياة بالقسر فان حاجاتهم في المعيشة طالبة للاجتماع وهو لا يمكن مع هذه الاوصاف فلا بد من قوة خارجة تحفظ صورة الاجتماع الى حد الضرورة هذه صفات اذا رسخت في نفوس قوم صار باسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى تراهم اعزة بعضهم على بعض اذلة للاجنبي عنهم يدعون اعدائهم للسيادة عليهم ويفتخرون بالانتماء اليهم يمهدون السبل للغالبين الى النكاية بهم ويمكنون مخالب المغتالين من احشائهم ويرون كل حسن من ابناء جنسهم قبيحاً وكل جليل منهم حقيراً اذا نطق اجنبي ٠ بما يدور على السنة صبيانهم عدوه من جوامع الكلم ونفائس الحكم واذا غاص احدهم بحر الوجود واستخرج لهم درر الحقائق وكشف لهم دقائق الاسرار عدوه من سقط المتاع وقالوا بلسان حالهم او مقالهم ليس في الامكان ان يكون منا عارف ومن

المحال ان يوجد بيننا خير . ويغلب عليهم حب الفخفخة والفخر الكاذب ويتنافسون في سفاسف الامور ودنياتها يرتابون في نصح الناصحين وان قامت على صدقهم اقطع البراهين يسخرون بالواعظين وان كانوا في طلب خيرهم من اخلص المخلصين يبذلون جهدهم لخيبة من يسعى لاعلاء شانهم وجمع كلمتهم ويقعدون له بكل سبيل يقيمون في طريقه العقبات ويهيئون له اسباب العثار وتراهم بتضارب اخلاقهم وتعاكس اطوارهم كالبدن المصاب بالفالج لا تنتظم لاعضائه حركة ولا يمكن تحريك عضو منه على وجه مخصوص لمقصد معلوم فتنفلت اعمالهم عن حد الضبط وتخرج عن قواعد الربط . فساد طباعهم بهذة الاخلاق يجعلهم منبعاً للشر ومبعثاً للضر يصير الواحد منهم كالكلب الكلب اول مايبدا يعض صاحبه قبل الاجنبي بل كالمبتلي بجنون مطبق اول مايفتك بمربيه ومهذبه ثم يثني بطبيبه ومن يعالج دائه تكون الاحاد منهم كالامراض الاكالة من نحو الجذام والاكلة يمزقون الامة قطعاً وجذاذات بعد ما يشوهون وجهها ويشوشون هيئتها اولئك قوم يسامون في مراعي الدنايا والخسائس لتغلب النذالة على سائر اوصافهم فيتفخون على ابناء جلدتهم ويذلون لقزم الاجانب فضلاً عن عليتهم وبهذا يمكنون الذلة في نفوسهم من دونهم ويطبعونها على الخضوع للغرباء بل الاعداء الالداء من طبقة الى طبقة حتى تضمحل الامة وتنسخ هيئتها وتفنى في امة او ملة اخرى سنة الله في تبدل الدول وفنا الامم وكذلك

اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد » اعاذنا الله من هذه العاقبة وحرس امتنا وملتنا من المصير الى هذه النهاية »

بقيت انا لمحة نظر الى ما به تقتنى الفضائل وتمحص النفوس من الرزائل حتى تسعد الجمعيات البشرية بالاتحاد وتصون به اكوانها من الفساد : كل مولود يولد عَلَى الفطرة مادة مستعدة لقبول كل شكل والتلون باي لون فهل ينال كمال الفضيلة من ابائه واسلافه . اني يكون لهم حظ منها وقد كانوا ناشئين عَلَى مثل ما نشأ وليدهم يرشدنا رائد الحق الى ان الاعتدال في اصول الاخلاق والتحلي بحلية الفضائل وترويض القوى والالات البدنية عَلَى العمل باثارها انما يكون بالدين ولن يتم اثر الدين في نفوس الاخذين به فيصيبوا حظاً وافراً مما يرشد اليه فيتمعوا بحياة طيبة وعيشة مرضية الا اذا قام روساء الدين وحملته وحفظته باداء وظائفهم من تبيين اوامره ونواهيه وتثبيتها في العقول ودعوة الناس الى العمل بها وتنبيه الناقلين عن رعايتها وتذكير الساهين عن هديها . اما اذا اهمل خدمة الدين وظائفهم او تهاونوا في تادية اعمالها ضعف اليقين في النفوس وذهلت العقول عن مقتضيات العقائد الدينية واظلمت البصائر بالغفلة وتحكمت الشهوات البهيمية وتسلطت الحاجات المعاشية ومال ميزان الاختيار مع الهوى فشدت الى الانفس اوفاد الرزائل فيحق عَلَى الناس كلمة العذاب ويحل بهم من الشقاء ما اشرنا اليه سابقاً

هذه علل الخراب في كل امة ولقد ظهر اثرها في امم لا تحصى عدداً من بداية كون الانسان الى الان ولم يزل بقايا بعضها يشهد عَلَى ما فتكت به الرزائل فيهم بعد مـا بدلوا وغيروا كما في طائفة الدهيرو (منك) من سكنة الاقطار الهندية المعروفين عند الاوربيين بطائفة « باريا » قـل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم . فالدين وهو السائق الى السعادة في الدنيا كما يسوق اليهـا في الاخرة

تقلب قلب الدهر عَلَى بعض طوائف من المسلمين في اقطار مختلفة من الارض وسلبهم ثيجان عزهم والقاها على هامات قوم اخرين واليوم ينازع طوائف اخرى ولا نخاله يتغلب عليهم فكشف هذا عن نوع من الضعف ولا يكون ناشئاً إلا عن شيء من الاهمال في اتباع اوامر الشرع الاسلامي ونواهيه بحكم قول الله في كتابه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقد يكون ذلك وربما لا ينكر الان ان كثيراً من عامة المسلمين وان صحت عقائدهم من حيث مـا تعلق به الاعتقـاد إلا انهم لا ينهجون في بعض اعمالهم منهاج الشريعة الغراء وهذا مما يحدث ضعفاً في قوة الامة بقدر الميل عن جادة الاعتدال في الفضائل والاعمال وما اصابتكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم

إلا ان المسلمين لم يزالوا عَلَى اصول الفضائل الموروثة عن اسلافهم ولها حسن الاذعان بمـا جاء به شرعهم وكتاب الله متلو عَلَى السنتهم

وسنة نبيهم يتناقلونها رواية ودراية وسير الخلفاء الراشدين والسلف الصالح مرسومة على صفحات نفوس الخاصة منهم فليس ما طرأ على بعضهم من الغفلة عن متابعة الشرع وما تسبب عنه من الضعف في القوة الا عرضاً لا يبقى وحالاً لا يدوم

انظر نظرة انصاف الى ما اودعته آيات القرآن من غرر الفضائل وكرائم الشيم والى حرص المسلمين على احترام كتابهم وتبجيله تجد من نفسك حكماً باتاً بان علماء الديانة الاسلامية لو نشطوا لاداء وظائفهم المفروضة عليهم بحكم وراثتهم لصاحب الشرع والمحتومة على ذمتهم بامر الله الموجه الى الذين يعقلونه وهم هم في قوله الحق ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وبالخص الالهي المفهوم من قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم « المومنين » طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ولو قاموا يعظون العامة بما ينطق به القرآن ويذكرونهم بما كان عليهِ صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الناهجون على سنته من الاخلاق المحمودة والاعمال المبرورة لرايت ان الامة الاسلامية ناشطة من عقالها مضافرة على اعادة مجدها وصيانة ولايتها العامة من الضعف وبيضة دينها من الصدع كل ذلك في اقرب وقت ولن تكون الا صيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون

ولا ريب ان الراسخين في العلم من اهل الدين الاسلامي يعلمون

ان ما اصيب به المسلمون في هذه الازمان الاخيرة انما هو مما امتحنهم الله به جزاء عَلَى بعض ما فرطوا وليس للناس على الله حجة فالرجاء في همهم وغيرتهم الدينية وحميتهم الملية ان يوجهوا العناية الى رتق الفتق قبل اتساعه ومداواة العلة قبل استحكامها فيذكروا ابناء الملة باحكام الله ويحكموا بينهم روابط الاخوة والالفة كما امر الله في كتابه وعلى لسان نبيه ويبذلوا الجهد لمحو الباس والقنوط الذي ملك افئدة البعض منهم ويقنعوهم انه لا ييأس من لطف الله الا الذين في قلوبهم مرض وفي عقائدهم زيغ ويسيروا بهم في سبيل يجمع كلمتهم ويوحد وجهتهم ويقوي فيهم اباية الضيم والنفرة من الذل ويحرك فيهم روح الانفة حتى لا تسمح نفس احدهم ان ياتي الدنية في دينه ويكشفوا لهم حقيقة وعد الله ووعده الحق في قوله وكان حقاً علينا نصر المومنين

اسماعيل باشا

لهج كثير من الجرائد الاوربية في هذه الايام بذكر اسماعيل باشا خديوي مصر السابق ومنها جريدة البال مال كازيت قالت اما ان تستولي انكلترا عَلَى مصر او تسلم الادارة فيها لاسماعيل باشا ونقل احد محرري هذه الجريدة عن مادم توفيكوف وهي صديقة شهيرة لمستر غلادستون انها قالت له ان احسن وسيلة لتقرير الراحة في مصر وجعل مصر للمصريين هو اعادة اسماعيل باشا اليها وذكرت احدى جرائد المانيا ان كلامها يشبه ان يكون رسمياً

اما نحن فسنبين رأينا في هذه المسئلة ونبدي فكرنا فيما يتعلق منها بالسلطان العثماني والطريقة التي ينبغي ان يسلك فيها وما يرتبط منها بمصلحة المصريين وما

يجب على انكلترا ان تأخذ به لو كانت كما تزعم تريد التخلص من ورطة المسئلة المصرية ولا نظنها صادقة .

نجد

كتب الينا احد اهالي نجد رسالة طويلة يحكي بها ما فعله قنصل الانكليز مستر (كرنل بيلي) الذي كان قنصلاً لدولته في خليج فارس ومقره ببندرابو شهر وما توسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠ ايام كان امير نجد الامير فيصل وقصد برواية هذه الحادثة تنبيه اخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التي تشبث بها القنصل للتداخل في سواحل البلاد النجدية وبين ما اتخذه الانكليز وسيلة للهجوم عَلَى ارض مصر إلا اننا لانذكرها الآن لقدم عهدها وسنفرد لها ولامثالها كتاباً مخصوصاً نفصل فيه ما فعل الانكليز في البلاد التي ملكوها من الممالك الشرقية والبلاد التي حاول الاستيلاء عليها ولم يستطيعوا مع استمرارهم في طلب ما يمكنهم من مقاصدهم ونطبع هذا الكتاب ونوزعه مجاناً .

الجرائد الهندية

جاءت الينا الجرائد الهندية فسرنا اعتدال سيرها في خدمة اوطانها وزادنا سروراً عنايتها بترجمة مقالاتنا المتعلقة باحوال الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ونقلها من اللسان العربي الى اللسان الهندي فلله شكرها عَلَى ما صنعت ونخص من بينها جريدة (اخبار دار السلطنة) التي تطبع في كلكته وجريدة (مشير قيصر) التي تطبع في لكهنو وهذا كان املنا في ارباب تلك الجرائد وليس بغريب عَلَى غيرتهم الدينية والوطنية .

هذا ما كان من مسلمي الهند وهم في قبضة الانكليز من مدة تزيد عَلَى قرن واننا ناسف غاية الاسف مما بلغنا عن بعض المصريين من انهم يمتنعون عن

استلام ما يرسل باسمائهم من اعداد هذه الجريدة خوفاً ورهبة مع انهم احق الناس بالاقدام على امور عظام في هذه الاوقات فان الآمال في خلاصهم قوية والوسائل اليه قريبة فكيف يصل ببعضهم الخوف الى الامتناع عن استلام جريدة هم اولى بها من غيرهم اذ اهم ما فيها الدفاع عنهم

كتب الينا صديق فاضل من خلص المؤمنين بالقطر المصري قال :

ان مأموري الانكليز الاخذين بزمام بعض الوظائف المصرية لا يزالون يسعون في تغرير الاهالي والتحيل عليهم ودس الدسائس بينهم بطرق مختلفة من الترغيب والترهيب كل ذلك ايرضوهم بطلب الحماية الانكليزية إلا ان اولئك الاباسلة لا يلافون في سعيهم إلا خيبة لان العلماء واعيان البلاد قد احاطوا بغايات الانكليز ومقاصدهم وعلموا انهم لا يقصدون بالبلاد الا الشر كما لم ينلها من حلولهم إلا الضر خصوصاً وان روح الحمية والغيرة الدينية والوطنية صار لها السلطان الاعظم على نفوس اهالي القطر المصري فاشتدت انفتهم من تسلط الانكليز في ديارهم وقاوموا مطالبهم بعزائم ثابتة وقلوب غير واجفة وهذا هو ظننا بل يقيننا في ابناء القطر المصري على علمائهم وامرائهم وحكامهم واعيانهم واوساطهم بل وسائر طبقاتهم ان لا تسمح نفس واحد منهم بمجاراة الانكليز في رغبتهم وان لا يطمئن قلبه بالدخول تحت سيادتهم بل ببقاء شخص منهم في بلاده وعلى مرمى نظره فان وجد بينهم شخص يتخذ الهه هواه ويميل مع الباطل فهو ممن يعرف المصريون سيرته في افناد ليله واطراف نهاره فلا يثقون به ومما اخبر به الصادق ان كليفور لويد يجتهد لتسليم رئاسات البلاد الى اناس من طبقة يتوهم فيها سقوط الهمة وسخافة الرأي ليتمكن بهم من اجراء بعض مقاصده لكن لم يتسن له نجاح ولئن نجح في تحويل الرئاسات من نصابها فلا يلاقي ممن يستلمونها إلا مثل ما لاقى من غيرهم فان الجميع مصريون يفضلون ظلم ابناء وطنهم على عدل الاجنبي فكيف لو كان الاجنبي لا يقاس بظلمه ظلم ثم قال صديقنا الفاضل زاد الويل اضعافاً على

الاهالي بالمجالس المحلية فان الانكليز لم يراعوا في تشكيلها مصلحة الرعية وانما وضعوا في جوهرها ما يضيق عليها سبل المعاملة اخماداً لنفوسها لينالوا حظهم من السيادة عليها ولم يعلموا ان بخس الحقوق من اشد موجبات العقوق وفي الامثال العربية « زر كلبك للطاق يأكلك » اي ضيق عليه . اما الفلاحون فاحوالهم سيئة ضيق وضنق وفقر واعدام مما يفتت الاكباد و يذيب القلوب و يفطر الجماد الحكومة مضطرة لطلب الاموال وملجاة الى تكليف الفلاحين بدفع ما عليهم والاجانب قائمون عَلَى اقتضاء ديونهم منهم والكساد ورخص اسعار الحبوب وثمرات الزراعة لم يجعل في المحصولات وفاء بضرورات المعيشة فضلاً عن اداء المطلوبات فكيلة القمح بستة قروش والذرة باربعة وعَلَى هذا يقاس . ومن ثم تسمع كل يوم تنعاب اغربة الدلالين في فناء ديوان الحقانية عَلَى خراب بيوت الفلاحين هذا ينادي على بيع اراضيه باسرها وهذا ينعق عليه بمبيع بعضها والاخر بالحجر عَلَى املاكه والحكومة لا تني في طلب ضرائبها قبل اوان المحصولات . اما احوال المدن فليست باسعد من احوال الارياف خصوصاً من تعديات الاجانب عَلَى سكانها فالمنازعات والمخاصمات بين الاجانب والوطنيين يقضي فيها عَلَى الوطني بالتغريم والجزاء ولا يوخذ عَلَى الاجنبي في شيء وان كان هو المعتدي . وان سأل الوطني اين خصمي فيقال له انه يحاكم في محل آخر مع انه لم يذهب الى مقام المحاكمة رأسا واكتفى في فصل الدعوى باحد الخصمين وهو طرز من الحكم جديد (هذا بعض اثار العدالة الانكليزية) وجاء في خبر صديقنا هذا رواية كثير من المظالم التي اصيب بها اهل القرى من جراء التداخل الانكليزي في ادارات الحكومة ضربنا عن ذكرها رعاية لجانب الاختصار بعد وضوحها عند اولي الامر من المصريين اما الامن فلم يبق له اثر واما النظام فقد نقض بناؤه واقتلع اساسه واختزن الانكليز نقاضه في خزائن الاثار القديمة فقويت عصابات اللصوص وجاهروا بالنهب والسلب وهذا خبر تؤكده روايات الجرائد الوطنية المصرية عربية وافرنجية فان جميعها يشتكي الملل والسامة من رواية اخبار السوء كل يوم . إلا ان من غريب الوقائع

هجوم لفيف من السارقين عَلَى قرية نشرت ونواحيها من مديرية الغربية وقتلهم واحداً وار بعين رجلا فان خبر هذه الواقعة ان صح كان دليلا عَلَى بلوغ الاختلال الى درجة فوق ما كنا نتصور نسال الله السلامة كما نساله ابدال عسر المصريين باليسر وهو عَلَى كل شيء قدير

اخبار سياسية

قبلت الحكومة الفرنساوية ان تدخل في المؤتمر لكن عَلَى شرط ان لا تذهب اليه مغلولة اليدين غضيضة الطرفين وان لا بد قبل ذهابها اليه من مخابرة بينها وبين انكلترا فيما يلزم ان يكون موضوع البحث في ذلك المؤتمر وقد اجمع السياسيون في فرنسا عَلَى ضرورة امتداد البحث الى ما وراء المالية من ادارة البلاد المصرية واقرار الراحة فيها

الجرائد الانكليزية تظهر خوفها من تشديد فرنسا وتستنجد اوربا وترى ان مداخلة الدول جميعها في مصر واقامة مراقبة دولية لحكومتها لا تمتاز فيها دولة عن دولة خير من مداخلة فرنسا وحدها مع انكلترا وان عارضت ذلك جريدة الشمس وحدها . وفي بعض الجرائد الروسية ان انكلترا لا يمكنها ان تضع حمايتها عَلَى مصر لظهور عجزها عن ادارة البلاد بعد الحلول بها سنتين وهي مطلقة التصرف لا مزاحم لها وبعد العجز لجأت الى دول اوربا اما دولة فرنسا فلا يهمها اعادة المراقبة المشتركة بين الدولتين ولكن يهمها ان لا تختص انكلترا بالامتياز في مصر

ذكرت كثير من الجرائد الالمانية نقلاً عن مصدر يوثق به ان الباب العالي لم يقبل الاشتراك في المؤتمر إلا عَلَى شرط ان تكون المداولة فيه غير واقفة عند حد المالية بل من اللازم ان يكون موضوع نظره لائحة غرانفيل المرسلة الى الدول في يناير سنة ١٨٨٣ (عند ما كان دوفرين في القاهرة) وعَلَى هذا فالدولة العثمانية

تطلب النظر في المسئلة المصرية بجميع فروعها لاتصال بعض اجزائها ببعض وفي جريدة التان ان الباب العالي بعد مخابرة الدول والاتفاق معها خصوصاً دولة فرنسا ارسل تلغرافاً الى موزوروس باشا السفير العثماني في لوندره بانه مستعد لقبول المؤتمر عَلَى شرط ان يكون بحثه في الشؤن المالية والسياسية والادارية

في جريدة كازيت ناسيونال الالمانية ان سير فرنسا في المسئلة المصرية موافق لسير جميع الدول لاسيما المانيا وقالت ان انكلترا اصبحت منفردة وهذا مما يسر المانيا

استفيد من خطاب المستر غلادستون في مجلس البرلمان ان لنواب الدول عند اجتماعهم ان يبحثوا فيما سوى المسئلة المالية انارادت الدول ذلك وان كان هذا يناقض ما صرح به غرانفيل في جلسة اخرى ولما سئل غرانفيل عن هذا التناقض اعرض عن الجواب وقال ان الحكومة مستعدة لانقاذ كوردون (هذا مما يضحك)

اخبار السودان تشعر بالشدة فقد اخبر الحاكم في دنكولا ان رسلاً بعثوا الى الخرطوم فعادوا ولم يتمكنوا من الوصول وقالوا ان الثائرين محدقون بكردون من جميع الجهات . في تلغراف من القاهرة ان الثائرين مجتمعون في عيون ابي سعيد عَلَى القرب من اصوان وان زعماء جيش محمد احمد طلبوا من حامية دنكولا ان تسلم بعد ثلاثة ايام والا فتكوا بهم

جرت مشاجرة بين بعض العساكر الانكليزية وبين العربان النازلين عَلَى شواطي بحيرة مريوط وقتل فيها عدة اشخاص

الاخبار متواترة بان عثمان دجمه يحاول الهجوم عَلَى سواكن و ينازل بعض القبائل التي لم تذعن لدعوة محمد احمد عَلَى القرب من طمانيب

المستر غلادستون وعد بان يرسل جيشاً الى السودان لكن لا بد من مراعاة الفصول والاهوية ثم اظهر تجافيه عن حرب السودانيين الذين يدافعون عن حريتهم وبلادهم

باريس

يوم الخميس في ٢٥ رجب سنة ١٣٠١ و ٢٢ مايو سنة ١٨٨٤

انا انذرنا الانكليز خطراً قريباً على الهند ونبهنا في اول عدد صدر من جريدتنا عَلَى ان تغيوء التركمان في مرو لظل الحكومة الروسية باختيارهم ربما يحمل تركمان سرخس على الاقتدا بهم واشرنا الى ما يتبع ذلك مما عاقبته نكال على الانكليز واليوم وقع ما توقعناه فاستولت الروسية عَلَى سرخس وتاخمت بحدودها حكومة الافغان وارتعدت فرائص الانكليز وغشيهم الفزع والقلق واعولت جرائدهم نحيباً ورددت نشيجاً واحست بقرب الاجل ولم يسكن روعهم ما ذكرته جريدة بطرسبرج الشبيهة بالرسمية من ان سرخس اسم يشترك بين مدينتين قديمة وحديثة وانما دخل في حوزة الروس اولاهما فان الانكليز يعلمون ان المدينتين متصلتان لا يفصلهما إلا ترعة صغيرة « نهر تجند » عرضها عشرة اذرع بالتقريب عَلَى ان سرخس التي حكم مهند سو حرب الانكليز انها باب الهند من طرف الشمال وانه ممر فاتحيه من زمان قديم ومن طريقها طرق الهند اسكندر الاكبر ونادرشاه الايراني وان وصول الروسية اليها مما يخرق سياج الهند انما هي سرخس القديمة . ومما زاد الانكليز فزعا واضطراباً ان التركمان النازلين بتلك المدينة وما يليها هم

الذين عرضوا انفسهم عَلَى حكومة الروس طوعا واختياراً وبعثوا وفداً منهم لينوب عنهم في عرض خضوعهم عَلَى البرنس دوندوكوف حاكم ما وراء بحر الخزر من الولايات الروسية ووصل الوفد الى عشقا باد واقام بها ينتظر قدوم البرنس اليها

وقع الانكليز الان بين شرين عظيمين خطر عاجل وحتف آجل اما الثاني فهو ان الروسية اما ان تتحد مع الافغانيين وتحالفهم عَلَى مطاردة الانكليز وهو الاقرب المتوقع فتصير معهم يداً واحدة عَلَى هدم اركان الحكومة الهندية الانكليزية وليس بخاف ما يضمره كل افغاني لكل انكليزي من الحقد والضغينة والافغانيون قوم حرب يناطحون الموت بنواصيهم فكيف ان وجدوا مساعداً قوياً . واما ان تميل حكومة الافغان الى الانكليز وهو من فرض المحال فما اسرع ان تنتشب مقاتلات بين القبائل المختلفة ممن تحت حكومة الافغان مثل جمشيدى وفيروز كوهي وبين قبائل التركمان المتاخمين لهم ويعقبها حرب بين الروسية والانكليز لان كلاً من الدولتين مضطر للمدافعة عن حليفه بل للروسية حق المناضلة عن رعاياها التركمان فاذا زحف الروس الى الاراضي الافغانية تقطعت حبال حيل الانكليز وامتنعت عليهم وسائل الدفاع وهذا اخر حياتهم في الهند

واما الخطر العاجل فهو ان سماع الهنديين بخبر استيلاء الروسية عَلَى سرخس يوقد فيهم نار ثورة عامة يلتمسون في اضوائها طريقاً

للخلاص من الضيق والضنك الذي شملهم وسبيلاً للنجاة من الويل الذي جلبته عليهم مظالم الانكليز . هذا يكون كما اشتعل لهيب الفتنة سنة ١٨٦٠ عند ما وصل الهنديين خبر استيلاء ناصر الدين شاه الايراني عَلى هراة بل انتقاض الهند عَلَى الانكليز في هذه الايام اقرب فان خواطر المسلمين من سكانه في هياج شديد بما شاع بينهم من دعوة محمد احمد السوداني بل بما تمكن في اهوائهم من الميل الى تصديقه وان لهذه الدعوة حملة عَلَى الهند لا يقاومها تدابير دولة بريطانيا

تريد دولة انكلترا ان تصد المسلمين عن حج بيت الله الحرام في هذا العام وربما فيما بعده حتى لا تصل اخبار محمد احمد وتورط الانكليز في مقاومته الى مسامع الهنديين ولكن سيحمل هذه الاخبار الى تلك الاقطار حجاج الافغانيين والبلوجيين الذين يسلكون الى الحج طريق البصرة والكويت بل يبلغونها الى اخوانهم عَلَى وجه ابلغ مما لو سمعوها باذانهم

هذا تابيد الهي للدولة العثمانية فعليها ان تنهض بعزيمة صادقة وجأش ثابت وهمة تليق بمكانتها في القلوب وعَلَى السلطان العثماني ان يتذكر انه خلف لاولئك الاسلاف العظام الذين ما اضاعوا حقاً ولا اهملوا فرضاً ويقتضي من الانكليز حقه ويسترد مصر من ايديهم ويطهرها من جراثيم الفساد ولا يقنع بما دون الحق ولا يدع لهم فيها شاناً إلا بما يساوون فيه غيرهم من الدول ولا تفوتن العثمانيين فرصة هذا

الارتباك الذي سقط فيه الانكليز كما فات الايرانيين الانتفاع بثورة الهند في الايام الماضية لتاخر خبر الثورة عنهم والا لكانوا اوقعوا بالانكليز ونالوا الغاية من ضرهم · على العثمانيين ان يتلافوا الامر قبل ان يشب الانكليز حرباً صليبية بين الحبش والمسلمين على نفقة الحكومة المصرية · ليس للدولة العثمانية ان تتهاون في مطالبها او تتحاشى الدفاع عن حقوقها الثابتة ولا ان تخشى في ذلك تهويل الانكليز وجلبتهم فان كثيراً من الدول على اختلاف مقاصدها السياسية يوافقونها على تخليص مصر من مخالب الانكليز كما دلت عليه منشورات الجرائد وروايتها عن مقاصد السياسيين من كل دولة · بل الذي يفهم من جملة مقالاتهم انه لا توجد دولة من الدول ترضى بان يكون المؤتمر وسيلة لاستيلاء الانكليز على مصر او وضعها تحت حمايتهم خصوصاً دولة فرنسا ودوله الروس · واليك طرفاً من اراء الجرائد وما تنقله عن السياسيين قال مراسل التمس في باريس ان فرنسا لم تقبل ولن تقبل ان يكون بحث المؤتمر منحصراً في المسائل المالية ولقد اصابت فرنسا في عدولها عن طلب المراقبة المشتركة بينها وبين انكلترا ورغبتها في مراقبة يشترك فيها جميع الدول فان في ذلك فوائد عظيمة لها ولغيرها ولا اظن ان حكومة انكلترا وافقت على ما ترغب فرنسا كما لا اظن ان فرنسا تتساهل فيما تريد وعلى هذا فاما ان ينعقد المؤتمر ولا تكون مداولاته مقصورة على مشاكل المالية واما الا يلتئم اصلاً · ولا امل لانكلترا إلا في التستر تحت حيلتها

وهي ان ترغب الى الدول عقد موتمرين متعاقبين اولها للمالية وبعده ينعقد الثاني للنظر فيما لم ينظر فيه الاول · وقال مراسل الدلي تلغراف في ويانا ان خطاب المستر غلادستون الذي القاه في مجلس النواب حرك دول المانيا والنمسا وايطاليا للاتفاق في المسئلة المصرية فصرحت جميعها بان مصالحها في مصر تقضي عليها بالعمل في حل هذه المسئله وليس من سياسة واحدة منها ان تنتظر زمناً طويلاً بعد ما مضى من الحوادث مع مـا يتوقع نزوله بمصر من النكبات واستقر راي الدول الثلاث على المداخلة في وقتها المناسب وقد انحلت ثقتها في مسلك الوزارة الانكليزية

وورد من فينا الى جريدة التان الفرنساوية الشبيهة بالرسمية من مكاتبها تلغراف قال فيه انه اجتمع عَلَى رجال عظام في تلك المدينة واستطلع افكارهم في المسئلة المصرية فاذا هم متباينون في الراي فمن ظن بعضهم ان الواجب عَلَى دولة النمسا ان تاخذ جانباً عن هذه المسئلة وتوسع المجال لدولة ايطاليا فانها ان فعلت ذلك ارضت ايطاليا بدون ان يلحق ضرر بمصلحتها ووافقت رغائب المانيا ومن راي بعضهم ان حكومتهم لا يسوغ لها التخلي عن رعاية مصالحها في مصر مرضاة لايطاليا بل لا يمكنها هذا وقد اخطا من يظن ان ليس للنمسا منافع في البلاد المصرية · ثم قال المكاتب تلاقيت مع رجل سياسي له شهرة بحرية الفكر واصابة الراي فمن كلامه ان دولة المانيا ربما تجعل المسئلة المصرية وسيلة لمراضاة الايطاليين بان تعد لهم فيها مقاماً رفيعاً لان المانيا

ليس لها قوة بحرية ولا يهمها ما يجري في البحر الابيض الا بطريق العرض اما النمسا فان لها في ذلك البحر مركزاً مهماً فحالها من هذه الجهة يخالف حال المانيا على ان حركات السياسة البرية لا بد ان تقذف بها الى ذاك البحر وهو مما يزيدها حرصاً على تعزيز جانبها فيه وليست المسئلة المصرية الا مسئلة البحر الابيض فمن له فيه شان يراعيه فله الشان في المسئلة المصرية وعلى حسب درجة الاول تكون درجة الثاني ثم اطال الكلام في بيان المنافسة السياسية بين دولة النمسا وايطاليا وما يطمح اليه نظر كل منهما . غير ان هذا ليس مما يمنع الدولتين عن الاتفاق في معارضة الانكليز وخفض منزلتهم في مصر والبحر الابيض اما جرائد فرنسا ورجال سياستها فعلى راي واحد في وجوب تحويل المسئلة المصرية عن وجه كونها انكليزية الى وجه كونها دولية اوربية وارتاحت لهذا نفوس الدول ومالت اليه افكارهم نسال الله حسن العاقبة واليه المصير

العروة الوثقى

انعقد مجلس النظار المصري في القاهرة واهتم بالبحث في شأن (العروة الوثقى) ثم اصدر قراره الى نظارة الداخلية المصرية قاضياً عليها بان تشتد في منع هذه الجريدة عن دخول الاقطار المصرية وتراقب جولانها في تلك الديار فصدر امر الداخلية الى ادارة عموم البوسطة يلزمها بالدقة في ذلك وبلغنا ان الجريدة الرسمية

بعد نشرها صورة الاوامر اعلنت ان كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم مبلغاً من خمسة جنيهات مصرية الى خمسة وعشرين جنيها (وهي غرامة جسيمة ربما دعا اليها عسر المالية المصرية ببركة تصرف الانكليز في مصر) اما نحن فلا نظن احداً من النظار المصريين له رأي اختياري في هذا القرار بل لا نتوهم في المستوي على كرسي الخديوية ميلا الى مثل هذا الحكم ولا يخلج في صدورنا ان مصريا من اي مشرب كان سواء المسلم وغير المسلم منهم بل ولا شرقياً ممن يسكن تلك البلاد يرى فيه جانباً من العدل . هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجاد لهم وما سعي بل كل السعي خيبة آمال اعدائهم ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح في عمرو فان المقصد اعلى وارفع من هذا وانما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد . تلتمس من ابناء الامم الشرقية ان يلقوا سلاح التنازع بينهم و يأخذوا حذرهم واسلحتهم لدفع الضوارب التي نفرت افواهها لالتهامهم . ومن رأيها ان الاشتغال بداخل البيت انما يكون بعد الامن من طروق الناهب . هذا منهاج العروة الوثقى عمله كل مطلع على ما نشر فيها من يوم نشأتها الى الآن فكيف يخطر ببال عاقل ان شرقياً مسلما او غير مسلم يميل لحجبها عن ديارها . ولكنا نعلم ان حركات الآمرين في القطر المصري هذه الايام قهرية لا يخالطها شيء من الاختيار والمدبر لمعنى القهر عليهم هم عمال الانكليز

ولا نريد ان نقول للانكليز انهم ظلموا في هذا الحكم فان الجريدة لم يوجد فيها الى الان ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية والاجنبية من كشف مساعيهم و بيان الرزايا التي اصيبت بها الديار المصرية من حلولهم . لانهم الانكليز الذين اذا احسوا بشهرة عالم من علماء المسلمين في الهند واقبال الناس عليه بالاعتبار اسرعوا بجلبه الى ديوان الشرطة (الضبطية) فعند وصوله اليها يفتح له الضابط مصحف قرآن او كتاب حديث من الكتب المشهورة ثم يشير الى اية من آيات الجهاد او حديث مما يدعو اليه ويسأله هل انت معتقد بهذه الاية او

الحديث فاذا قال نعم قال له فبناء علَى ذلك يكون من رايك وجوب الجهاد فينا فاذا اجابه بانني درويش ملازم العزلة عن الناس وليس اعتقادي بهذا الا لانه كتاب ديني ضرب له الضابط اجل اربعة ايام او اقل يبين فيها رايه في الاية او الحديث فان مضى الاجل ولم يحرف العالم دينه ولم يبدل عقيدته ولم يبادر بارسال تحريفه وتبديله وخروجه عن دينه الى مطبعة من المطابع ليطبع وينشر بعثت به الحكومة الى جزيرة اندومان نفيا موبدا ولو رأيت تلك الجزيرة لرايتها غاصة بامثال هولا المظلومين فدولة الانجليز التي تحاسب رعاياها المسلمين علَى خطرات قلوبهم وما يمكن ان يهجس في حديث نفوسهم لا ريب انها تعد وجود لفظ الاسلام في جريدة كافيا لمنعها عن الدخول الى بلاد لها فيها قدم ثابت او تسعى في تثبيته بل تحسب ان من الد اعدائها شخصاً علق عليه هذا الاسم من اي جنس كان فلا غرابة في صدور مثل هذا الجور منها غير اننا نعلن لها ان همم الرجال لا تقعدها امثال هذه المظالم وليس يعجزنا ادخال هذه الجريدة في كل بقعة تحوطها السلطة الانجليزية الظالمة ذلك بعزائم اولى العزم الذين قاموا بانشاء العروة الوثقى

بلغنا ان بعضاً من الناس يسل سيفه ويشحذ سنانه لمناضلة الولي الحميم ويقابل ثناءه بالذم ومدحه بالقدح واحسانه بالاساءة ويواجه نصيحته بالظنة ولا نظن ان هذا منه عن عمد ولا اغراء عدو وانما هو لشبهة حجبت نظره عن درك الحقيقة فاذا كشفت له الايام عن الواقع رجع الى الندم علَى ما صدر منه وكانت له مثابة الى الحق وركون الى الصواب ٠

لايحزنن اهل الحق القائمون بامر هذه الجريدة علَى ما صدر عن الحكومة المصرية من منع العروة الوثقى عن دخول القطر المصرى وليعلموا ان الحكومة المصرية لا دخل لها في هذا المنع فان حكومة شرقية لا تسمح لها غيرتها بمنع جريدة لا شيء فيها سوى الدفاع عن الشرقيين وانما منشاوه حكومة انكلترا وشانها معلوم عند كل عارف باحوالها

واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم

اظلت ولاية الاسلام مابين نقطة الغرب الاقصى الى توتكاني عَلَى حدود الصين في عرض مابين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء · اقطار متصلة وديار متجاوزة يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذي لايغالب · اخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام فاداروا بشوكتهم كرة الارض الا قليلاً · ماكان يهزم لهم جيش ولا ينكس لهم علم ولا يرد قول عَلَى قائلهم · قلاعهم وصياصيهم متلاقية ومنابتهم ومغارسهم في سهوبهم« اراضيهم السهلة الواسعة » واخيافهم « الاراضى المنحدرة عن الجبل » رابية مزدهية بانواع النبات حالية باصناف الاشجار يربيها صنع ايديهم المسلمين ومدنهم كانت آهلة مؤسسة عَلَى امتن قواعد العمران تباهي مدن العالم بصنائع سكانها وبدائعهم وتفاخرها بشموس الفضل وبدور العلم ونجوم الهداية من رجال لهم المكان الاعلَى في العلوم والآداب · كان في نقطة الشرق من حكمائهم ابن سينا والفارابي والرازي ومن يشاكلهم وفي الغرب ابن باجه وابن رشد وابن الطفيل ومما ثلوهم وما بين ذلك امصار تتزاحم فيها اقدام العلماء في الحكمة والطب والهيئة والهندسة

وسائر العلوم العقلية هذا فضلاً عن العلوم الشرعية التي كانت عامة في جميع طبقات الملة · كان خليفتهم العباسي ينطق بالكلمة فيخضع لها فغفور الصين و ترتعد منها فرائص اعظم الملوك في اوربا · ومن ملوكهم في قرونهم المتوسطة مثل محمود الغزنوي وملكشاه السلجوقي وصلاح الدين الايوبي وكان منهم في المشرق مثل تيمور الكور كان وفي الغرب مثل السلطان محمد الفاتح والسلطان سليم والسلطان سليمان العثماني اولئك رجال قضوا ولم يطو الزمان ذكرهم ولم يمح اثرهم ·

كانت لاساطيل المسلمين سيادة لاتباري في البحر الابيض والاحمر والمحيط الهندي ولها الكلمة العليا في تلك البحار الى زمان غير بعيد · كان مخالفوهم يدينون الملكوت فضلهم كما يذلون لسلطان غلبهم والمسلمون اليوم هم هم يملاون تلك الاقطار التي ورثوها عن ابائهم وعديدهم لاينقص عن مئتي مليون وافرادهم في كل قطر بما اشربت قلوبهم من عقائد دينهم اشجع واسرع اقداماً عَلَى الموت ممن يحاورهم وهم بذلك اشد الناس ازدراء بالحياة الدنيا واقلهم مبالاة بزخرفها الباطل جاهم القرآن بمحكم آياته يطالب الناظرين بالبرهان عَلَى عقائدهم ويعيب الاخذ بالظنون والتمسك بالاوهام ويدعو الى الفضائل وعقائل الصفات فأودع في افكارهم جراثيم الحق وبذر في نفوسهم بزور الفضل فهم باصول دينهم انور عقلا وانبه ذهنا واشد استعداداً لنيل الكمالات الانسانية واقرب الى الاستقامة في الاخلاق وبما يرون لانفسهم من

الاختصاص بالشرف وما وعدوا به على لسان كتابهم الصادق من اظهار شأنهم على شؤن العالم اجمع ولو كره المبطلون لايذعنون بسلطة اميرهم عليهم ولا يحوم بفكر واحد منهم ان يخضع لدى سطوة من سواهم وان بلغت من الشدة او اللين مابلغت . ولما بينهم من الاخاء المؤزر بمناطق العقائد يحسب كل واحد منهم ان سقوط طائفة من بني ملته تحت سلطة الاجانب سقوط لنفسه . ذلك احساس يشعر به وجدانه ولا يجد عنه مسليا و بما ساخ (غاص ورسب) في نفوسهم من جذور المعارف التي ارشدهم اليها دينهم ونالوا منها النصيب الاعلى في عنفوان دولتهم يعدون انفسهم اولى الناس بالعلم واجدرهم بالفضل .

ذاك شأنهم الاول وهذا وصفهم للان ولكنهم مع هذا كله وقفوا في سيرهم بل تأخروا عن غيرهم في المعارف والصنائع بعد ان كانوا فيها اساتذة للعالم واخذت ممالكهم تنتقص اطرافها وتتمزق حواشيها مع ان دينهم يرسم عليهم ان لايدينوا لسلطة من يخالفهم بل الركن الاعظم لدينهم طرح ولاية الاجنبي عنهم وكشفها عن ديارهم بل منازعة كل ذي شوكة في شوكته . هل نسوا وعد الله لهم بان يرثوا الارض وهم العباد الصالحون . هل غفلوا عن تكفل الله لهم باظهار شأنهم على سائر الشؤن ولو كره المجرمون . هل سهوا عن ان الله اشترى منهم لاعلاء كلمة انفسهم واموالهم بان لهم الجنة - لا . لا . ان العقائد الاسلامية مالكة لقلوب المسلمين حاكمة في اراداتهم وسواء في العقائد الدينيـة والفضائل

الشرعية عامتهم وخاصتهم ٠

نعم يوجد للتقصير في انماء العلوم وللضعف في القوة اسباب اعظمها تخالف طلاب الملك فيهم لانا بينا ان لاجنسية للمسلمين إلا في دينهم فتعدد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة والسلاطين في جنس واحد مع تباين الاغراض وتعارض الغايات فشغلوا افكار الكافة بمظاهرة كل خصم على خصمه والهوا العامة بتهيئة وسائل المغالبة وقهر بعضهم لبعض فادت هذه المغالبات وهي اشبه شيء بالمنازعات الداخلية الى الذهول عما نالوا من العلوم والصنائع فضلا عن التقصير في طلب مالم ينالوا منها والانحسار دون الترقي في عواليها ونشا من هذا ماتراه من الفاقة والاحتياج وعقبه الضعف في القوة والخلل في النظام وجلب تنازع الامراء عَلَى المسلمين تفرق الكلمة وانشقاق العصا فلهوا بانفسهم عن تعرض الاجانب بالعدوان عليهم ٠

هذا كان من امراء المسلمين مع مافيه من الضرر الفادح عند ما كانوا منفردين في ميادين الوغى لايجاريهم فيها سواهم من الملل ولكن ضرب الفساد في نفوس اولئك الامراء بمرور الازمان وتمكن في طباعهم حرص وطمع باطل فانقلبوا مع الهوي وضلت عنهم غايات المجد الموثل وقنعوا بالقاب الامارة واسماء السلطنة وما يتبع هذه الاسماء من مظاهر الفخفخة واطوار النفخة ونعومة العيش مدة من الزمان واختاروا موالاة الاجنبي عنهم المخالف لهم في الدين والجنس ولجاوا للاستنصار به

وطلب المعونة منه على ابناء ملتهم استبقاء لهذا الشبح البالي والنعيم الزائل

هذا الذي اباد مسلمي الاندلس وهدم اركان السلطنة التمورية في الهند ومحا اطلالها وعَلَى رسومها شيد الانكليز ملكهم بتلك الديار . هكذا تلاعبت اهواء السفهاء بالممالك الاسلامية ودهورتها امانيهم الكاذبة في مهاوي الضعف والوهن قبح ماصنعوا وبئس ما كانوا يعملون اولئك اللاهون بلذاتهم العاكفون عَلَى شهواتهم هم الذين بددوا شمل الملة واضاعوا شأنها واوقفوا سير العلوم فيها واوجبوا الفترة في الاعمال النافعة من صناعة وتجارة وزراعة بما غلوا من ايدي بنيها . الا قاتل الله الحرص عَلَى الدنيا والتهالك عَلَى الخسائس ما اشد ضررهما وما اسوء اثرهما . نبذوا كلام الله خلف ظهورهم وجحدوا فرضاً من اعظم فروضه فاختلفوا والعدو عَلَى ابوابهم وكان من الواجب عليهم ان يتحدوا في الكلمة الجامعه حتى يدفعوا غارة الاباعد عنهم ثم لهم ان يعودوا لشؤنهم ماذا افادتهم المغالاة في الطمع والمنافسة في السفاسف . افادتهم حسرة دائمة في الحياة وشقاء ابديا بعد الممات وسوء ذكر لاتمحوه الايام

اما وعزة الحق وسر العدل لو ترك المسلمون وانفسهم بما هم عليه من العقائد مع رعاية العلماء العاملين منهم لتعارفت ارواحهم وائتلفت احادهم ولكن واسفا تخللهم اولئك المفسدون الذين يرون كل السعادة في لقب امير او ملك ولو عَلَى قرية لاامر له فيها ولا نهي . هولاء الذين حولوا اوجه المسلمين عما ولاهم الله وخرجوا على ملوكهم وخلفائهم حتى

تناكرت الوجوه وتباينت الرغائب ٠

الاتفاق والتضافر على تعزيز الولاية الاسلامية من اشد اركان الديانة المحمدية والاعتقاد به من اوليات العقائد عند المسلمين لايحتاجون فيه الى استاذ يعلم ولا كتاب يثبت ولا رسائل تنشر ٠ ان رعاة المسلمين فضلاً عمن علاهم تتصاعد زفراتهم وتفيض اعينهم من الدمع حزنا وبكاء عَلَى ماصاب ملتهم من تفرق الاراء وتضارب الاهواء ولولا وجود الغواة من الامراء ذوي المطامع في السلطة بينهم لاجتمع شرقيهم بغربيهم وشماليهم بجنوبيهم ولبى جميعهم نداء واحد ٠ ان المسلمين لايحتاجون في صيانة حقوقهم إلا الى تنبه افكارهم لمعرفة مابه يكون الدفاع واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه وارتباط قلوبهم الناشئة عن احساس بما يطرا عَلَى الملة من الاخطار ٠

الم ترا امة الروس هل تجد فيها مايزيد عَلَى هذه الاصول الثلاثة هي امة متأخرة في الفنون والصنائع عن سائر امم اوربا وليس في بلادها ينابيع للثروة ولئن كانت فليس مايستفيضها من الاعمال الصناعية فهي مصابة ٠ بالحاجة والاعواز غير ان تنبه افكار احادها لما به يكون الدفاع عن امتهم واتفاقهم في النهوض به وارتباط قلوبهم صير لها دولة تميد لسطوتها رواسي اوربا ٠ لم يكن للروسية مصانع لمعظم الآلات الحربية ولكن لم يمنعها ذلك عن اقتنائها ولم يرتق فيها الفن العسكري الى حد ماعليه جيرانها الا ان هذا لم يقعدها عن جلب

ضباط من الامم الاخرى لتعليم عساكرها حتى صار لجيشها صولة تخيف وحملة تخشاها دول اوربا ٠

فما الذي اقعدنا عن مشاكلة غيرنا فيما هو ايسر الاشياء علينا ونحن اشد الناس ميلاً اليه من رعاية شرف الملة والتالم بما يحط منه والتعاون عَلَى صون الوحدة الجامعة لنا عن كل ما يثلمها ٠ ما رد الافكار عن الحركة وما اقعد الهمم عن النهوض الا اولئك المترفون يحرصون عَلَى طيب في المطعم ولين في المضجع وتطاول في البنيان وتفاخر بالخدم والحول ولا يراعون في حرصهم ما بعد يومهم ويحافظون على لقب موضوع ورسم متبوع يقنعون منه بالاحتفال لهم في المواسم والاعياد وهز الروس وثني الاعطاف تعظيماً وتبجيلاً ثم تذييل الاوراق الرسمية باسماء ليس لها مسميات ٠ هولاء الساقطون يرضون لتخيل هذه المواثل (جمع ماثل من الرسوم ما ذهب اثره) بكل دنيئة هولاء يقبلون من تصرف اعدائهم في بيوتهم ما لا يقبله واحد من احاد الناس دون موته اولئك صاروا في اعناق المسلمين سلاسل واغلالا يحبسون هذه الاسود عن فريستها بل يجعلونها طعمة للثعالب لا حول ولا قوة الا بالله

ايابقية الرجال ويا خلف الابطال ويانسل الاقيال هل ولى بكم الزمان هل مضى وقت التدارك هل آن اوان الياس ٠ لا ٠ لا ٠ معاذ الله ان ينقطع امل الزمان منكم ٠ ان من ادرنه الى بيشاور دولا اسلامية

متصلة الاراضي متحدة العقيدة يجمعهم القرآن لا ينقص عددهم عن خمسين مليوناً وهم ممتازون بين اجيال الناس بالشجاعة والبسالة · اليس لهم ان يتفقوا على الذب والاقدام كما اتفق عليه سائر الامم ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم فالاتفاق من اصول دينهم · هل اصاب الخدر مشاعرهم فلا يحسون بحاجات بعضهم لبعض اليس لكل واحد منهم ان ينظر الى اخيه بما حكم الله في قوله انما المومنون اخوة فيقيمون بالوحدة سداً يحول عنهم هذه السيول المندفعة عليهم من جميع الجوانب · لا التمس بقولي هذا ان يكون مالك الامر في الجميع شخصاً واحداً فان هذا ربما كان عسيراً ولكني ارجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن وجهة وحدتهم الدين وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الاخر ما استطاع فان حياته بحياته وبقاءه ببقائه الا ان هذا يعد كونه اساساً لدينهم تقضي به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الاوقات · هذا آن الاتفاق · هذا ان الاتفاق · الا ان الزمان يواسيكم بالفرص وهي لكم غنائم فلا تفرطوا ان البكاء لايحيي الميت · ان الاسف لا يرد الفائت · ان الحزن لايدفع المصيبة · ان العمل مفتاح النجاح · ان الصدق والاخلاص سلم الفلاح · ان الوجل يقرب الاجل · ان الياس وضعف الهمة من اسباب الحتف · وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون · الا لا تكونوا ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ·

احذروا ان تقعوا تحت قول الله رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ان القران حي لا يموت ومن اصابه نصيب من حمده فهو محمود ومن اصيب بسهم من مقتة فهو ممقوت . كتاب الله لم ينسخ فارجعوا اليه وحكموه في احوالكم وطباعكم وما الله بغافل عما تعملون ولعل امراء المسلمين قد وعظوا بسوء مغبة اعمال السالفين وهموا بملافاة امرهم قبل ان يقضى عليهم بما رزيء به المفرطون من قبلهم ورجاونا ان اول صيحة تبعث الى الوحدة وتوقظ من الرقدة تصدر عن اعلامهم مرتبة واقوامهم شوكة ولا نرتاب في ان العلما العاملين ستكون لهم اليد الطولى في هذ العمل الشريف والله يهدي من يشاء ولله الامر من قبل ومن بعد

تصرف الانكليز في الهند

لا اريد بما اكتب في هذا المقال القصير تنفير قلوب المصريين من سلطة الانكليز فان لي يقينا باءن المصريين الذين انبتتهم ارض مصر لا يذعنون لولاية الانكليز عليهم بل يعارضونها بارواحهم واموالهم ولهم من الغيرة الدينية والوطنية ما يحملهم على ذلك وان رأوا من عدلها ما لا يصل اليه انصاف انوشروان ويفضلون ولاية مواطنيهم وان مسهم منها انكى ما يكون من الحيف اللهم الا قليل ممن فسدت اخلاقهم

وانتكست طباعهم وقليل ما هم وانما القصد كشف ما تدعيه هذه الدولة العظيمة من العدالة وما تختص به نفسها من الوصاية على نوع الانسان

اذا اشرف السائر عَلَى اي بقعة من البقاع الهندية الواسعة شخص بصره ودهش لبه بما يراه من اثار عناية الله بتلك البقاع وما منحتها من الخصب الطبيعي حتى ان الاحجار الصلدة لتنشق عن الاشجار الضخمة العالية الاغصان المورقة الافنان تظل الواحدة منها امتداداً واسعاً من الارض وكان اديم الارض بما استوى عليه من انواع النباتات قد بسط عليه بساط من السندس الاخضر فيخيل للناظر ان سكنة هذه الاراضي في خفض من العيش وسعة من الرزق بل يظنهم اسعد من عمر الغبراء ولكنه اذا تجاوز السهوب والاودية الى المدن والقرى ضاق صدره وتفطر قلبه من مناظر سكانها يرى الافا مولفة يعبرون في الشوارع والازقة جيئة وذهابا حفاة عراة بادية سوءآتهم كاسفة احوالهم لايجدون رمقة من العيش · يلتمس الواحد منهم عملا من الاعمال الشاقة يقضي فيه نهاره وبعض ليله ليصيب من الاجر عليه ثلاث فرنكات في الشهر بل فرنكين ونصفا ولا يتيسر له ويرى هذه الحال عامة حتى في المدن التي بسواحل البحر على كثرة الاشغال التجارية فيها · ويشتد به العجب عند المقابلة بين خصب التربة وجودة النابت وبين سوء حالة القائمين عليها ويحكم حكما لا ريبة فيه بان ادارة الحكومة الانكليزية (حامية النوع الانساني) هي التي حرمت اولئك المساكين من التمتع

بما آتاهم الله من فضله . اذا سأل سائل عن حال كثير من اولئك المعدمين الذين لا يملكون نقيراً ولا قطميراً فربما يقف عَلَى انهم كانوا من ارباب الثروة الواسعة والمقدرة الساميـة وكانوا يسكنون القصور العالية ثم اصبحوا ياوون الى خصاص بـل اقفاص . اذا انتقل الفكر للبحث عن السبب اوصله النظر الى اسباب كثيرة يرجع جميعها لتصرف الحكومة الانكليزية واشدها ظهوراً وفرة الاتاوات (خراج الاراضي) وثقل الضرائب عَلَى كواهل الاهالى فان الحكومة قد فرضت عَلَى العاملين في الزراعة ان يؤدوا لها خمسا وخمسين في المائـة من ثمرات زراعاتهم ولم تجعل الاداء عَلَى حسب ما تجود به الارض كل عام بقدره ولكنها خرصت (حزرت) ما تاتي به كل ارض عَلَى درجتها من الخصب وقدرت مبلغاً معيناً تجبيه من العامل في الارض سواء سلم زرعه من الافات او اجتاحته الجوائح وقد يستغرق مطلوب الحكومة جميع المحصول بل يزيد عنه واداؤه حتم لا تردد فيه عَلَى اي حال هذا فضلاً عن الرسوم المختلفة التي لا حد لها ولا نهاية وتعرف عندهم (بالتكس) اي الرسوم الغير الثابتة او الغير المحدودة وربما اتينا على بيانها مع بيان سائر الاعمال بالتفصيل فيما بعد

في هذا المقام تذكرت شيئاً قد يخطر بالبال . رب غني في مصر يملك مزارع واسعة واقطاعات كثيرة (ابعادياتٍ وجفالك) فيركن الى ما تفيض عليه من الرزق و يطمئن قلبه من جهة معيشته ومعيشة ابنائه

من بعده فيستوي عنده اجناس الحاكمين ولا يبالي بولاية الانكليز على بلاده حيث سلم له قوته فنشير ههنا الى طرف مما يعامل به الانكليز امثاله في الهند لتكون له عبرة

اراد الانكليز ان لا يكون لغيرهم يد على ملك واسع فيما تحت سلطتهم فضربوا على ارباب الاقطاعات رسوماً زائدة يودونها عن اراضيهم في اوقات محدودة ثم وضعوا في قانون الزراعة انه لا يجوز للمالك ان يقيم الدعوى على مزارعيه اذ تاخروا عن تأدية ما شرط عليهم الا بعد مضي ثلاث سنوات من وقوع موضوع الدعوى واذا خان المزارعون او اهملوا في اعمالهم او استأثروا بمحصولات الزراعة فلا يمكن لصاحب الملك ان يخاصمهم في مجالس القضاء الا بعد مضي تلك المدة الا انه يؤدي ما عليه للحكومة في اوقاته بالرغم عنه وان لم يؤدِ اليه العاملون له شيئاً . وفي قانون المرافعات عندهم انه اذا مضى على موضوع الدعوى ثلاث سنوات لم تحصل في اثنائها اقامة الدعوى فلا تسمع . فهذا يحمل العاملين في الزراعة على الاضرار بارباب الاملاك ولا سبيل لهولاء الى استخلاص حقوقهم من اولئك والحكومة لا تترك من فريضتها شيئاً ولا تتساهل في طلب ادائها بوجه فيضطر الملاك للتنازل عن اراضيهم للحكومة الانكليزية (العادلة) هذه اعمال من تاخذه ريبة في خبرها فليسال الهنديين عنها . وان الجرائد الانكليزية في الهند تنادي على حكومتها الهندية دائماً بوجوب التخفيف في الوطاة والرفق

في السطوة وتنذرها بان الاعمال الادارية والمالية لو دامت على نمطها هذا لا يمضى قليل من السنين حتى يشتد الضيق والضنك في عموم الاقطار الهندية و يضطر الاهالي لاصلاء فتنة عمومية لا طاقة لدولة بريطانيا باطفائها ولكن لا يسمع الصم الدعاء

نصيحة في الادب

وردت الينا من حضرة الفاضل مولوي عبد الغفور شهباز بمدينة كلكته وهذا نصها

ليس الادب كما يظن بعض الناس مجموع قصص تتلى للفكاهة او اساطير تنقل في المسامرات او منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية من التورية والجناسات ونحوها من فنون البديع او منشأت ورسائل تتضمن اطراء في المدح او مغالاة في القدح فان جميع هذا بمجرده لا يتصل بمعنى من معاني الادب وانما الادب في كل امة هو الفن الذي يقصد به تهذيب عاداتها وتلطيف احساسها وتنبيهها الى خيرها لتجتلبه والى ما يخشى من الشر فتجتنبه فالادباء في الحقيقة هم ساسة اخلاق الامم بل هم اجنحتها تطير بهم الى ذروة فلاحها فانهم بما يعلمون من طرق التفهيم يمكنهم ان يقربوا الى العقول ما يبعد عن ادراكها و يسهلوا

على الاذهان ما يعسر عليها النظر فيه و يعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة فياخذون على الظالم ظلمه و يعظونه بسوء عواقب الظلم و ينكرون على الفاجر فجوره و يحذرونه مغبة الفجور حتى يردوا كلا عن غيه بما يروضون من طبعه بدون ان يقولوا له انك ظالم او فاجر واذا رأوا في امتهم عوائد يأباها سليم الذوق او وجدوا منها اخلاقاً واعمالاً لا تنطبق على شريعة الفضل وقوانين الشرع عمدوا الى تغيير العوائد وتطهير الاعراق واخذوا في ذلك سبلاً متنوعة في انشائهم تارة بالقصص والحكايات التي تمثل شناعة الرزيلة وبهاء الفضيلة وما آل اليه امر المتدنسين بالاولى وما ارتقى اليه حال المتحلين بالثانية وتارة بقريض الشعر يخيلون فيه ما يحرك الهمم و يبعث الافكار و ينبه خواطر الكمال واحساسات الشرف الصحيح لا ما يوقظ الشهوة و يقوي الغرور و يخرج الانفس عن اطوارها. والاخذ به من وجهه والدخول اليه من بابه هو الذي صعدت به الهند الاولى الى اوج المجد و بلغ به العرب اقصى غايات الرفعة وهو الذي وصل بالامم الاوربية الى ما وصلوا اليه مما لا يخفى على ذي بصيرة وانا نتأسف على ما نراه من ادباء المسلمين وشعرائهم فانهم يقصرون منشاتهم واشعارهم على ما يكون عد الصفات اما مذمومة او محمودة ونسبتها الى شخص يريدون ذمه او مدحه و يحصرون رواياتهم في حكايات مضحكة وقصص هزلية و بعض تواريخ ماضية بدون ان يلاحظوا تاثير ما

يكتبون وما ينقلون في افكار الامة واطوارها ورجاونا فيهم ان يسلكوا مسالك ادباء الامم المتقدمة او المعاصرة لهم حتى يكون للامة الاسلامية نصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة بيانهم وطلاقة السنتهم وان ياخذوا في منشاتهم واشعارهم طريقاً ينهضون فيه الهمم الخوامد ويحركون القلوب الجوامد ويحيون مكارم الشيم ويوردون الامة مورد سابقيها من الامم وانا نرى بداية هذا المنهج الجديد في بلادنا ونسال الله حسن ختامه

اخبار سياسية

صرح اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات بانه ورد للحكومة الانكليزية اخبار عن الجنرال كوردون إلا انه كتمها عن المجلس ولم يطلعه عليها ومع هذا فانها مهملة من التاريخ ولم يعهد ان مأموراً سياسيا لدولة عظيمة يخابر وزراء دولته بلا تاريخ ولعل ماالفه الوزراء البريطانيون من التمويه على الشرقيين اصبح فيهم عادة تجري بينهم حتى على ابناء جنسهم وفي مجالسهم العالية

وردت اخبار الى الدلي نيوز مفادها ان جميع القري في شمال بربر الى مراوي جاهرت بالثورة وانقطع الطريق الى بربر وفي خبر اخر ان من الظنون ميل مديرد نكولا الى منابذة الحكومة فانه كان من ايام يطلب مدداً يستعين به على اخلاء المدينة وانقاذ حاميتها واليوم

يأبى الخروج منها بل يطلب ان تبعث اليه نجدة يفتح بها البلاد السودانية فتحاً جديدا ثم استبد بما لم يكن من حدود وظيفته فارسل بعض ضباط الباشيبزوق الى وادي حلفا ليأتيه ببعض الذخائر والالات الحربية ونال رسله الف بندقية وار بعماية الف فشك ونهبوا مخازن الحكومة واحضروا معهم عدداً من المدافع الى دنكولا . وربما يعاب عَلَى المدير اتيان مثل هذا العمل ويعد من باب الخيانة لحكومته المصرية ولكن ماذا يصنع بعد ماعلم ان الحكومة المصرية خرجت عن كونها حكومة وطنية بتصرف الانكليز فيها وان حكامها اصبحوا لايملكون من الامر شيئا فان صدق هذا المأمور في خدمته فلا تكون فائدة الصدق إلا تثبيت قدم الانكليز في بلاده وتأييد ملكتهم عليها فيكون في الحقيقة خيانه لوطنه وبخساً لحقوقه فله العذر اذا انحاز الى الفئة الثائرة مادام الانكليز حكاما في مصر

يقال ان محمد احمد سار من العبيد لفتح دكاشيا او خرطوم ويغلب عَلَى الظن ان مسيره لفتح خرطوم فان حل بها ماحل ببربر وشندي مع هيجان القبائل في الجهات الشمالية ترقبنا عاقبة هائلة انذرنا بها وحذرنا منها مراراً عديدة

من راي احد المراسلين لجريدة الدلي تلغراف ان الجنرال كوردون يقيم في خرطوم الى فيضان النيل فان لم تاته نجدة يقوى بها عَلَى الفوز بنجاح مامورية لزمه ان يصعد عَلَى النيل الابيض الى خط الاستواء

وانه يمكنه بعد ذلك ان يعمل اعمالا عظيمة في الامم الافريقية القاطنة فيما وراء خط الاستواء ثم عقب كلامه باماني واوهام لا تنقص عن امانى كوردون عند ما سار من القاهرة الى خرطوم ·

في تلغراف من اصوان الى الدلي نيوزان ابن اخي حسن باشا خليفة ومعه شخص اخر فرا من بربر وكانا منطلقين الى جهة الشمال فاعتقلهما عرب رو باتاب بالقرب من ابى حمد ·

يقال ان الحكومة المصرية(او الانكليزية)تجتهد بوسعها للمحالفة مع قبائل العرب في جنوب مصر ليكونوا لها عوناً عَلَى مدافعة سيل الفتنة اذا ارتفعت غواربه على حدود مصر الطبيعية ولا نظن ان سعيها ينجح لدي العرب فان ذمتهم ودينهم لا تسمح لهم بمساعدة الانكليز في تملك بلاد المسلمين ·

ابى اللورد غرانفيل ان يرخص لنوبار باشا بالسفر الى اوربا مدة غيبة السير بارين فان اصر نوبار باشا على طلب الرخصة فان اللورد غرانفيل يطلب من الخديو ان يستبدله برياض باشا او شريف باشا · هذا كله والانكليز لا يريدون ان تكون مصر تحت سيادتهم ولا يحبون ان يرفع عليها علم حمايتهم وليس يدرى ما الغرض من السيادة والحماية سوى التصرف في الادارات والتحكم في اولياء الامور · هذا وزير مصر الاكبر لا ينال رخصة سفر الا باذن من غرانفيل ولا ياذن له ويرى ان له امراً عَلَى الخديوي باستيزار فلان وعزل فلان فان لم

تكن هذه سيادة فما هي السيادة

في خبر الاميرال ان هفيت وصل الى ادوفا (من البلاد الحبشية) واسلفنا انه كان من نيته اغراء ملك الحبشة بايقاد حرب صليبية يهلك بها امم العالم فداء لشهوات الانكليز إلا انه جاءت الاخبار بعد هذا بان الاميرال لم يصادف سعة من صدور الحبشيين وان الملك يوحنا وقف على خديعة دولة انكلترا ولم يظهر عناية بما اتى اليه الاميرال ولم يبعث لملاقاته احداً بل اظهر الحبشيون غاية الخشونة في معاملة الوفد الانكليزي حتى انهم امتنعوا من بيع المأكولات لهم وقد ذكرت بعض الجرائد صورة المعاهدة التي يراد عقدها مع ملك الحبشة ولا يهمنا الان ذكرها

هجم جماعة من الثائرين على سواكن في التاسع عشر من هذا الشهر وزحفوا الى المدينة حتى صاروا على خمسين متراً من اسوارها ثم اطلقوا عليها النيران مدة ساعتين حتى اثر الرصاص في كثير من البيوت ولم يتحرك جيش الحامية ادنى حركة لمدافعة هذا الهجوم العنيف . يظهر من هذا ان انتصار الجنرال كرهام في سواحل البحر الاحمر لم يكن له اثر وانما هو قول يذكر وراية توثر وان غزواته لم تزد الثائرين إلا اقداماً

كتب مراسل التان في القاهرة ان لا صحة لما اشاعته الجرائد من القبض على موسيو اوكلي النائب الارلندي الذي حملته همته على السفر الى العبيد